الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
جامعة التحدي / سرت
كلية الآداب والتربية
الدراسات العليا ــ قسم التاريخ
شعبة التاريخ الحديث

رسالة
لنيل متطلبات الدرجة العالية "الماجستير"
بعنـــوان :/

الإشكاليات المنهجية فى بنية التاريخ المغاربي الحديث

" محاولة لتحديد إطار نظري منذ القرن السابع حتى مطلع القرن العشرين "

مقدمة من الطالب
• أحمد غيث لامه •

د :- عطية مخـــــــزوم مشرفـــــاً
د:- عبدالله علي إبراهيم مشرفاً مساعداً

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة التحدي ـ سرت

كلية الآداب والتربية — قسم التاريخ /شعبة حديث

" الإشكاليات المنهجية في بنية التاريخ المغاربي الحديث"

إعداد :ـ أحمد غيث لامه .

أعضاء لجنة المناقشة :ـ

1- د. عطية مخزوم الفيتوري.

2- د. عبد الله علي إبراهيم .

3- د. رحيم كاظم محمد الهاشمي .

4 ـ د. سعيد عبد الرحمن الحنديري

توقيع

.....

.....

.....

.....

يعتمد

أ. رحمة ابوبنينة عبد السلام

مدير مكتب الدراسات العليا والتدريب لكلية الآداب والتربية

يعتمد

أ. جميد أحمد الحاج

أمين اللجنة الشعبية لكلية الآداب والتربية

المحتويات

الموضوع	الصفحة
- الإهداء	أ
- المقدمة	ب - ج
الفصل الاول (التراث)	
- لمحة عن إشكالية التراث	2-3
- بوادر الإشكاليات التراثية	3-14
- تأثير الأستشراق الصليبي في التراث العربي	14
الفصل الثاني (منهجية حركة الاستشراق)	
- نزعة الاستشراق الفكـــــــــري	27
- حركة الاستشـــــــــــراق	27 - 28
- الاهتمام المسيحي بالفكر الإسلامي	28 - 32
- مخطط منهجية الاستشـــــــراف	32 - 49
الفصل الثالث (مؤثرات الاستشراق في استخدام المصطلح في بنية التاريخ)	
- مصطلح الثقافة	51 - 53
- المصطلحات المستخدمة في التاريخ العربي القديـــــم	54 - 62
- بعض المصطلحات الخاطئة في التاريخ العربي الحديث	62 - 73
- الفصل الرابع (التقليد والإتباع في التاريخ العربي الحديـث)	
- التقليد والإتباع في التاريخ العربي الحديـــــــــث	75
- التخلف في فكر التاريخ العربي الحديـــــــــــث	76 - 79
- الجهل بخصوصية التاريخ العربي الحديـــــــــث	79 - 82
- الخوف من الخوض في مسائل الفكر التاريخـــــــي	83 - 86
- الخاتمـــــــــــــة	86 - 93
- قائمة المراجع و المصـــــــادر	94 - 99

الإهـــــداء

إلى المجاهدين من أجل الكلمـــة الصادقـــة النبيلـــة إلى محبي الدراســـات التاريخية

إلى الذين علموني كيفية التعامل مع النص التاريخي

إلى الذين ربطتني بهم علاقة العلم والمعرفة

وإلى جميع أفراد عائلتي

وإلى طلبة الدراسات التاريخية

مع أطيب تحياتي :/ أحمد لامة

المقدمة

إن معالجة الإشكاليات المنهجية في بنية تاريخ العرب الحديث ضرورة ملحة لإعادة كتابة التاريخ العربي الذي تعرض للتحريف والتشويه من قبل الأقلام المعادية التي استهدفته باعتباره من أبرز ميادين الحرب الفكرية التي قادتها العنصرية الصليبية في حربها ضد العرب والإسلام لتحطيم المقومات المعنوية من خلال التركيز على التراث ، واللغة ، والعقيدة، لإعادة تركيبها بما يخدم الغايات الصليبية ، ولتسهيل السيطرة على العرب وعلى مقدراتهم الاقتصادية والفكرية .

وسخرت لذلك حركة استشراق واسعة شملت كل الجوانب بقصد التشويه ، وإضعاف المعرفة واستخدام مصطلحات خاطئة ، لشل العرب ، وجعلهم تحت السيطرة ، والتبعية ولم تنجح العديد من المحاولات لمعالجة هذا الوضع أو التنبه إلى مخاطره ، وذلك بتركيزها على جمع وكتابة مكونات الفكر العربي ، ودون نقدها أو تنقيتها من المغالطات.

إن قضية الإشكاليات الفكرية من أبرز الإشكاليات في فكرنا الحديث التي قيدت مضامينه بإعادة صياغته وإفراغه من محتواه ، وموضوعيته متجاهلة أو طامسة لمنجزاته لتحويله لحالة سكونية ، ووسيلة في خدمة الأغراض الصليبية ،التي استهدفت التراث ، والتاريخ ، وهي حلقة مهمة من حلقات الحروب الصليبية تحت رعاية الكنيسة ورجال الدين والتي اتجهت لاستخدام الفكر في هذه الحرب بعد أن تنبهت إلى أهميته في بنية الحضارة العربية الإسلامية ولذلك استخدمت الكثير من المصطلحات ، والمغالطات الخاطئة والخلط بين مختلف المفاهيم ، وتمزيق مسار التاريخ العربي لجعل الحالة الفكرية العربية في حالة ضعف ، وتفكك في روبطه المنطقية ، وعدم تطابق مصطلحاته مع واقعه وتسطيحه بالتقليد والتبعية المتأثرة بالنمط الأوروبي ، وغير قادرة على معالجة المناهج الفكرية ، ونتيجة لهذا الضعف عبرنا عن فكرنا بشكل تقليدي وبتكرار مشوه ، ولم نستطع تطوير أساليبه ، ومضامينه ويظهر ذلك في مستوى التخلف ، والبدائية في التعامل الفكري ولا يعبر عن الطموحات مما دفعنا إلى الشعور بالغبن ، والإحباط ، والعجز ، وظهر ذلك بردات الفعل التي استخدمت الفكر العربي في مختلف التيارات ، والاتجاهات التي عملت على التخلص من هذا الواقع ، لكنها لم تنجح لوقوعها تحت تأثير عوامل التخلف ، والجهل، والخوف التي لم تمكن من القيام بنهضة فكرية تستطيع مواجهة التحديات واتبعنا في هذا العمل المنهج السردي التحليلي وقسمنا هذا البحث إلى أربعة فصول :-

- الفصل الأول .. يتناول إشكالية التراث .
- الفصل الثاني .. منهجية حركة الاستشراق .
- الفصل الثالث .. مؤثرات الاستشراق في استخدام المصطلح في بنية التاريخ .

وفي الختـــام يسعدني أن أسجل تقديري واحترامي للأستاذين المشرفيـــن د. عطية مخـــزوم ود.عبدالله إبراهيم على ما قاما به من جهود وتوجيهات كان لهما الأثر البارز في إنجاز هـــذا العمـــل و أنشكـــر إدارة جامعـــة التحـــدي ، وأساتـــذة كليـــة الآداب ، كما اشكر كل مـــن أسهم بالمساعـــدة والنصيحـــة والتشجيع وأذكـــر منهم أحمد الحـــــاج و عبد الروؤف بابكر د. سعيد الحنديري والعاملين في مكتبات كل من جامعة التحدي وجامعـــــة قـــاريونس ودار الثقافة بصفاقس .

كما أشكر الزملاء على تعاونهم ومساعدتهم ، وأخص منهم أ. يونس حماد الذي فـــتح لي مكتبته الخاصة و أ.على قريوي ، وفرج الهمالي ؛ لإعانتهما لي في المراجعـــات ، كمـــا اشكر الذين أفادوني بالنصائح والتوجيهات في كل من سوريا ولبنان وتونس والمغرب كما أقدم تقديري إلى كل من (على المهيدوي – لجهوده في الطباعة والأختين نعيمة غيث و زينـــب سليمان على طباعة البحث وإيمان أحمد على ما قامت به من تجميع لصياغات مساعدةً لي ، وفايزة فرج على ما قامت به من مراجعة لغوية والى كافة الزملاء والزميلات الذين تعاطفوا معي وساعدوني في إنجاز هذا العمل .

أمل إن أكون قد أسهمت في طرح إشكالية مهمة تفتح الباب على معالجة فكرنا .

سرت : 25 / 3 / 2008

أحمد لامـــــة

الفصل الاول

لمحة عن إشكالية التراث

لمحة عن إشكالية التراث .

إن قضية التراث من أبرز الإشكاليات المنهجية في بنية التاريخ العربي الحديث والمعاصر ، بعد أن قيدت مضامينه ، وأعادت صياغته العديد من الدراسات الاستشراقية ؛ لإفراغه من قيمه ومحتواه المعنوي ، وربطه بالمواقف الخيالية والمثالية ، متجاهلة منجزاته الفكرية وعلاقته بحركة التاريخ ، وعزله عن جذوره الاجتماعية ؛ لجعله حالةً سكونيةً مقطوعة العلاقة بالحاضر ، وتحويله إلى وسيلة في خدمة الاغراض الصليبية التي سخرت كل إمكانياتها لمحاربة العرب والمسلمين بالقضاء على المقومات المعنوية التي اقتنع الصليبيون بأنها تمثل قوة وعظمة العرب.

فما هو التراث؟ وماهي قيمته في بنيتنا الفكرية التاريخية ؟ ولماذا ركز الصليبيون عليه في صراعهم ضد الإسلام بأعتباره من أبرز مواطن القوة؟

تعريف التراث:

لفظ التراث لغويا : مشتق من (ورث) ويرد فى المعاجم اللغوية مرادفاً للإرث أو الميراث ، وهى عبارة تفيد ما يجده الإنسان متروكاً من الآباء والأجداد من مال وجاه ، غير أن كلمة الورث أوالميراث أكثر استعمالا للتعبير عن أرث المال ولم تشتهر كلمة التراث عند العرب بهذا اللفظ ، ويعتقد اللغويون أن هذه الكلمة أصلها وراث وقلبت الواو(تاء) لثقل الضمة على الواو ، وهناك من يفرق بين الإرث والورث – فالإرث يقصد به الاصول والورث مايورث من أموال .

وورد ذكر التراث فى القران الكريم مرة واحدة فى سورة الفجر الآية (17ـ20) بمعنى المال : (كلا بل لا تكرمون اليتيم ، ولا تحاضون على طعام المسكين ، وتأكلون التراث اكلاً لما وتحبون المال حبا جما) صدق الله العظيم .

بينما كلمة ميراث ذكرت مرتين فى القران الكريم الأولى في سورة آل عمران الآية (180) (ولا يحسبن الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير) صدق الله العظيم .

والثانية في سورة الحديد الآية رقم (10) ﴿ وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير ﴾ صدق الله العظيم .

وهذا اللفظ هو الشائع بين المسلمين أما كلمة تراث فهي لم تستعمل فى الفكر الإسلامي ، ولم تعبر عن الموروث الفكري عند العرب والمسلمين ، وإنما كان يقصد بها المال والمخلفات المادية التي تركها الأوائل والسابقون ، أما كلمة تراث فهى مصطلح حديث دخيل على الفكر العربي الإسلامي بمعنى تراث الأمة [1]، وعرفت معاجم اللغة العربية المعاصرة التراث : على أنه " العادات والتقاليد والفكر والمعارف المختلفة المتناقلة بين الأجيال[2] " ، وهكذا يتضح أن مفهوم التراث فى الفكر الحديث ، والمعاصر أصبح يعنى رصيد الأمة الفكري بينما لايزال لفظ الميراث والإرث يطلق على المخلفات المالية والمادية ، ولكن كيف نظر الصليبيون والحاقدون إلى تراثنا ؟ وكيف تعاملنا نحن مع هذا التراث ؟ إن موقف القوة المعادية من التراث العربي الإسلامي بالتعبير عنه من خلال المواقف المثالية والخيالية واختلفت النظرات باختلاف المواقف والتيارات التي يلاحظ انها لم تتعمق فى فهم مضامين التراث ، لامن ناحية الطرح ولامن ناحية المنهج ، وغلبت عليها السطحية ، التي ظلت عاجزة وجعلت التراث مقطوع الصلة عن حركته التاريخية وذلك ما قصده المستشرقون فى محاربة الفكر العربي الإسلامي لإضعاف العرب وتحطيم مقوماتهم المعنوية ، وشلهم حاضرا ومستقبلا .

بوادر الإشكاليات التراثية .

وأمام هذه الهجمة المعادية التي استهدفت المقومات الفكرية ، وأعادت صياغتها لخدمة الاغراض الصليبية ، ومن المفيد فى هذا الطرح معرفة كيف تكون التراث

---

1 - محمد عابد الجابري ، التراث والحداثة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1991م ص 22
2- جبران مسعود ، الرائد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1964 / ص 382

العربي الإسلامي في مراحله الأولى ؟ وماهي المصاعب التي واجهته عبر الزمن ؟ منذ بداية الدولة الإسلامية والوقوف على إشكالياته ، فالتراث العربي السابق للإسلام ، لم يجد الاهتمام المطلوب، من المفكرين العرب ، في حين نظر له المستشرقون على أنه يمثل مرحلة من مراحل منعزلة لا ترتبط بوحدة التاريخ العربي ، ومن هنا كان التركيز على التراث العربي المصاحب للدولة العربية الإسلامية.

فقد توسع العرب تحت راية الإسلام إلى المناطق الحضارية المجاورة (فارس، بيزنطا، الهند) ولكنهم لم ينصهروا فيها ،وكونوا بالإسلام أسس حضارية جمعت العرب تحت عقيدة واحدة جعلت الكثير منهم يتخلى عن روا بطه القبلية التي لا تتفق مع هذه العقيدة ، ونظر غيرهم لهذه الحضارة بإعجاب ودهشة ، ولم تتأثر (دولة) المسلمين بالروابط القبلية بالرغم من ظهورها في بيئة بدوية، وبرزت اهتمامات العرب بتكوين حضارة فكرية قائمة على مبادئ الإسلام ، وأنشغل العرب بوضع حركة فكرية إسلامية أهتمت بكل جوانب المعرفة المستنده على روح الإسلام ، وعبر عن ذلك بالتدوين والقراءات والتفسير والحديث والفقة وحركة التاريخ إلى جانب الإنساب والأدب والشعر ، بدافع الرغبة لإثبات الذات والتفوق أمام المجتمعات المغلوبة ، وظهر الاجتهاد وانتشر القراء لتعليم القرآن ونشر مبادئ الإسلام والعدالة ثم ظهرت إلى جانب القرآن والسنة الحاجة للاجتهاد في الراى ؛ لمواجهة المشاكل المستحدثة وإثبات الحجة الإسلامية ، وتطور الجدل الفكري وظهرت التيارات المختلفة وفرق المتكلمين ، والمفكرين ودخل الجدل في الصراع السياسي والفكري نتيجة للاختلافات بين هذه الاتجاهات، ووضعت الأحاديث الملفقة في بعض المسائل والخلافات لدعم حجة كل من هذه الأطراف مما دفع العلماء المسلمين إلى وضع مقاييس وأسانيد لإثبات صحة الأحاديث، وتطور الأمر إلى ظهور مذاهب ومدارس فكرية ومرجعيات ، وتسربت إلى الفكر الإسلامي بعض الموروثات الحضارية المحلية للمجتمعات الداخلة في الإسلام لإبراز دورها الحضاري ، تدفعها خلافاتها القومية واختلافاتها الفكرية والسياسية

لإبراز دورها الحضاري لإظهار قيمتها أمام الفكر العربي [3] مثل ابن المقفع الذي ترجم الأعمال الهندية والفارسية ، وعربها خدمة لمعارضة النظام العربي ، ولم يستشهد بالفكر الإسلامي (القرآن والحديث) ونادى بالعودة إلى الموروث القديم بدوافع سياسية علمانية [4] ونعتقد أن هذا الخلل الفكري يمثل البدايات الأولى للإشكاليات المنهجية فى الفكر العربي مما جعل العلماء المسلمون يضعون (علم الجرح والتعديل) وتدوين الأحاديث وجمعها وتصنيفها فى مراجع موثوقة ، ومن الإشكاليات التي ظهرت فى صدر الإسلام الخرافات اليهودية (الإسرائليات)في الفكر العربي التي تسربت إلى التفاسير الدينية نتيجة للآخذ بالآراء والروايات ، وبرز إتجاهان للتفسير أحدهما أخذ بالآراء مثل (الزمخشرى) والآخر أخذ بالآثار مثل(الطبرى) ، وتأثرت حركة الفكر والأدب بهذين التيارين [5] ومن أهم الصعوبات التي واجهت الفكر الإسلامي في بدايته عدم اتضاح أسس ثابتة فى كيفية التعامل مع القضايا الفكرية ، ولذلك تصدى علم الكلام للأفكار الدخيلة على الفكر الاسلامى التي أثرت فى بنيته مثل المانوية والهرمسية وبعد استفحال الصراع الفكرى والمذهبى [6]. حاول المسلمون التصدى ، لذلك بوضع أسس فكرية مضادة.

لعل لاستبداد السلطة السياسية أثره البارز فى تحريك الاختلافات والمنازعات، ولاسيما الإمامة والخلافة التي انقسم حولها المجتمع الاسلامى إلى فرق ومذاهب (الشيعة ــ الخوارج ــ السنة ....) إلى جانب بعض الجماعات الشعوبية مثل الماجوسية والمانويـة- هى حركات فارسية فبينما كانت الأولى تمثل أقليه دينية ، كانت الثانية تعتبر نفسها الخصم للحركة الإسلامية ، وكان لها أنصارها وأتباعها من الموالى ، وبعض الشخصيات الفارسية (الإرستوقراطية) الذين حاولوا إبراز الفكر الفارسي ، مثلما أشار المستشرقون لدور الفكر المسيحى المشرقي فى الحضارة الاسلامية من خلال انتشار مراكزه أوالمدارس السريانية المعتمدة على الفكر الدينى والفلسفى ، فى طرح مفاهيمها(الحكماء السبعة ــ

3- عبدالعزيز الدورى – التكوين التاريخي للامة العربية – ط ثالثة ، مركز دراسات الوحدة العربية / بيروت 1986- ص 83
4 - محمد عابدى الجابرى – تكوين العقل العربى – ط رابعة –مركز دراسات الوحدة العربية / بيروت 1989، ص 47
5 - عبدالعزيز الدورى - المرجع السابق ص ص 87،85
6 - محمد عابد الجابرى - المرجع السابق ،ص 101

مدرسة حرّان ذات الطابع الوثنى التي اهتمت بالتنجيم) فقد كانت مقرا الصائبه أصحاب الفكر الهرمسى لها دورها الكبير فى حركة النقل والترجمة ، وعرف بها مجلس تعليمي اهتم بما ينشره من خيارات فكرية، ولاسيما الفكر الهرمسى الذى انتقل إليها من الإسكندرية ، وتأثرت بها الحركات الباطنية وينسب المستشرقون الهرمسية إلى الفكر الأوربى الهلينستى - (حسب قول المستشرق فسيتوجير) - والتى سادت بعد تفكك الفكر اليوناني، [7] وينسب الهلينستية التيارات والتى كانت مركزهامدينة أفامية ، وجمعت بين الفكر اليوناني والشرقي وإلىيهودية الغنوصية والمسيحية ؛ لقربها من أماكن نزول هذه الرسالات ، وينتسب إليها الكثير من العلماء والفلسفات الدينية وظهر فيها الفكر الكيسي المأخوذ عن الفارسية [8]، وحاول بعض العلماء اليهود مثل (فيلون) ربط الفلسفة اليونانية بالفكر اليهودي .

إن القاري فى الفكر الإسلامي يلاحظ التضارب والتشتت وانتشار التيارات المذهبية ؛ لعدم وجود ضوابط تنظيم وتقنين هذه الاتجاهات ، مما جعل ساحة الفكر ميدان لتعارض الأفكار ، وهذا الموروث الفكري بما يعانيه من اضطرا بات وخلل لا يلبى حاجتنا الفكرية ، واستند الغلاة والروافض فى مختلف المذاهب على هذا الموروث المتنوع الأسس والإتجاهات ، وفسروا الله والدين بمفاهيم فلسفية ولاسيما الفرقة الهرمسية ، التي أنتشرت أثارها فى الحركات الصوفية وأخوان الصفا ، كما أنتشرت في العديد من مدن فى المشرق العربي وفى الفكر الشيعي وفى كيمياء جابر بن حيان وتصوف أبى هاشم والكرخى وذي النون ، ومن اخطر ماواجه السلطة الإسلامية (إلى جانب الغنوصية والمانوية المذهب الشيعي وظهور الجماعات الباطينية ، والتى استخدمت الفكر الفلسفي فى الصراع[9] ، وساعد ذلك على انتشار الفرق والمذاهب وضعف الدولة وتفككها وتحولها إلى عدة إمارات من آسيا حتى الأندلس ، ويتضح ذلك من فكر الفارابي الذى تأثر بهذا التمزق ، والذى ركز على الوحدة فى النظام السياسي والمنطق مطورا الفكر الكندي متأثرا بفكر أرسطوا، مطالبا بوحدة الفكر ورافضاً للفوضى الفكرية ، التي شهدتها الدولة

---

[7] . محمد عابد الجابرى - المرجع السابق ص 107-149-163-166-167

[8] المرجع السابق - ص 170

[9] . المرجع السابق - ص 174-175-183-187-200-202-214-225

الإسلامية نتيجة لتعارض التيارات والنزاعات الشعوبية ، والقومية المؤثرة بشكل سلبي على بنية الفكر الإسلامي المتسببة فيها العناصر الداخلة في الإسلام من العجم لما أثاره من تنافس على السلطة السياسية وإشكاليات في حركة الفكر ، من خلال نظرتهم للعرب بنظرة عنصرية متطرفة ، وأدت هذه التطورات إلى تمزق الدولة السلامية في دويلات متعددة ، وتشرذم حركة الفكر، واستخدام لغات قومية على حساب اللغة العربية في تلك الكيانات المنفصلة التي لم تظهر حماسا إلى قبول الزعامة العربية في الدولة الإسلامية . وعمل الشعوبيون على الطعن في الفكر العربي ، وتشويه تراثه ، ومجدوا فكر الأعاجم واعتبروه أرقى من العقل العربي ، وامتد تشكيكهم إلى بنية الإسلام . ونعتقد أن هذه المواقف قد نبهت إلى أهمية التصدي للحضارة الإسلامية [10] بعد أن عملت على تسفيه الفكر التراثي السابق. وبظهور الدويلات المنفصلة ، عملت زعاماتهم على تهميش الخلافة الإسلامية وجعلتها مجرد رمز تقليدي . لقد صاحب ذلك ضعف حركة الفكر واتجه الكتاب إلى خدمة النظم السائدة ، وانتقلت المنازعات والصراعات والدعوات المذهبية والسياسية إلى المنطقة المغاربية ، واستفادت من التركيبة القبلية لنشر أفكارها ودعواتها ، وكونت كيانات مذهبية متصارعة ومتنافرة ، أسهمت إلى جانب التفكك القبلي في تمزق وحدة المنطقة ، وإضعافها مما مهد للقوة المعادية لتحقيق أطماعها في المنطقة ولم تتطور حركة الفكر برغم ظهور بعض الحالات الفردية من العلماء في مختلف الإتجاهات الفكرية . لم تستطع تكوين مدارس متميزة ومؤثرة نتيجة لارتباط حركة الحياة بالروابط القبلية . وتزامن هذا الوضع مع ظهور الحركة الصليبية الحاقدة على الإسلام والعرب والتي عملت بمختلف الوسائل على تدمير الحضارة العربية بدءا من الصراع المسلح ، الذي لم يفلح في تحقيق أهدافه ، أمام إصرار المسلمين على المواجهة القتالية ضد التعصب الصليبي ثم تحول التركيز بعد ذلك إلى ميادين الحرب الفكرية ، التي استغلت حالة الضعف الفكري في العالم الإسلامي والمنطقة العربية. وكانت قد ركزت حركة الاستشراق على نقل المعارف من المراكز الإسلامية التي احتكت بها في البحر

[10] - محمد عابد الجابري مرجع سابق ص 95-96-99-100-

الأبيض المتوسط ولأندلس ، وعن طـريق الحـروب الـصليبيـة وبيزنطـة وبـذلك حققت مالم تستطيع تحقيقـه بالحـروب ، وعملت على تفكيـك الفكـر العربى ، وإعادة صياغتة بمنظور صليبي ، وارتبطت الحركة الفكرية الـصليبية بالدوافع السياسية ، التي تسعى إلى الهيمنة والتوسع والاحتلال واستخدمت الفكـر فى خدمة هذه الغايـة تحت غطاء الديـن. ولذلك كـان رواد هـذه الحركـة رهبان ورجـال دين (بطرس ــ جيـراده كريمون ــ البير الكبير ــ ميخائيـل سكوت ــ روجر بيكون) وفى الوقت نفسه لم يتـصدى العـالم الإسـلامي لهـذه الظاهرة ؛ لانشغاله بالخلافات والمنازعات السياسية الداخلية التي عصفت بكيانات مختلفة الأصول والمذاهب من النواحي القومية والدينية ، وزادت حالته الفكريـة ركودا ولم يظهر الانتباه لهذه المخاطر فى العالم الإسلامي ، مما أتـاح الفرصـة للحركة الصليبية فواصلت جهدها لتحقيق أهدافها فى ميـدان حركـة الفكـر دون عوائق تذكر ، مما ساعدهم على اعادة صياغة تراثنا وفق نزعاتهم وأهوائهم غير أنه من الأنسب لنا أن الا ننظر إلى تراثنا من خلال وجهة نظر غيرنا وانطلاقا من أن تراثنا الفكرى يستند إلى مرجعية فكرية واحدة فان التراث المغـاربى يعتبـر للتراث المشرقي ، والذى من أبرز أعلامه (ابن باجه ــ ابن رشد ــ ابن طفيل ــ ابن خلدون ...) وغيرهم الذى لايمكن دراسته بمعزل عنه [11] غير أن مـا يميـز الفكر المغاربي إتجاهه إلى الاستقالية ، لأسباب جوهرية ، منها اختلاف تركيبـة المجتمع لهذه المنطقة عن المشرق فلا يوجد اختلاط أجناس مختلفة مذهبيه وعرقيه وتغلب على تركيبة السكان الحياة القبلية إلى جانب القيود الـسياسية ، والتزمـت الدينى فأتجه الفكر المغاربى إلى التقيد بالبرهان فى تدوينة، واتبع هذا النهج عـدد من العلماء فى مختلف المعارف ولأزمان غير انهم لم ينالوا قدراً كبيـراً مـن الشهرة ، وحاول بعض العلماء نشر المذهب الشيعى الإسـماعيلي فـى المنطقـة المغاربية ، لكن المناخ الاجتماعى كان غير ملائم لتقبل هذا المـذهب بالـسرعة المطلوبة مما جعلهم يواجهون مصاعب دينية وسياسية .

---

[11] ـ محمد عابد الجابرى ـ نحن والتراث ـ ط السادسة 1993 ـ مركز دراسات الوحدة العربية ، ص 167 بيروت

وعندما ظهرت دولة الموحدين في المنطقة المغاربية عارضت افكار المتـزمتين والمذهبية وطالبت بالعودة إلى الاصول، ونـادت بـالتحرر الفكـرى ومواصـلة الاجتهاد ، ويمكن فهم هذا التوجه من فكر ابن باجه . ويلاحظ إجمالا على حركة الفكر فى هذه المرحلة تقيدها بالمفاهيم الدينية ، والتوفيق بين النقل والعقل وقاسوا الفكر على المناظر الطبيعية والشواهد المنظورة [12]. ولهذا يتضح لنـا أن حركـة الفكر هي تعبير عن حركة اجتماعية تاريخية تعكس مكوناتها فى طـرح نظـرى يعبر عن مشاكل الحاضر وإشكالياته ، ولهذا قام المجتمع الاسلامى علـى وحـدة اللغة والدين التي جمعت مختلف الأمم والمعتقدات فى مجتمع إسلامى ، غيـر أن ذلك لم يمنع الاضطراب والفوضى الفكرية التي تسببت فى عدم الاستقرار ، وأدت إلى قابلية الاستفزاز في مجتمعات لازالت لم تتخلص من الطبائع البدائية . ومـن المعلوم كان لاختلاط الاجناس دور فى تفكك الدولة الاسـلامية ، بـسبب تعـدد معتقداتها وأنماطها الحضارية وطموحاتها وصاحب ذلك التمزق الفكرى القائم على الأهواء والنعرات ودفع إلى التمزق السياسي ،ويفهم ذلك من فكر المعتزلة الـذي اتخذ شعار التوحيد والعدل ، والفكر الأشعري الذى نادى بتقنين العقيـدة وتنظيـر الخلافة ، كما يتضح ذلك عند القادرية الأحكام الـسلطانية للمـاوردى ، وعنـد الفارابى وأخوان الصفا الذين اعتبروا أن الشريعة قد دنـست بالـضلالات [13] . ومثلـت دولـة المرابطين التزمت الفكـرى فى وقـت ظهـرت فيـه الأفكـار المتحررة ، وحاول المغاربة معالجة التضارب الفكرى معالجة منهجية ، لما به من اضطراب وتشويش وتأويل ومؤثرات مذهبية وشعوبية . وكان الشعور السائد بين العلماء فى المنطقة المغاربيه هو شعور بمسؤوليته المتعلم فيما يتعلـق بمعالجـة الإشكاليات الفكرية لمجتمع معظم عناصره غير قادرة على الخـوض فـى هـذه المسائل . ومن المعروف أن حركة الفكر فى المشرق كانت أسبق منه فى المنطقة المغاربية ، لكن كان فكر ابن تومرت (مؤسس الدولة الموحدية) يعتبـر ثـورة

[12] . محمد عابد الجابرى . المرجع السابق . ص ص 169 -170-176-177-214-218
[13] . . نفس المرجع السابق ص ص 227-231-233

إصلاحية ، اختلطت فيه المفاهيم الدينية والفلسفية والفقهية ، وتسللت إلى النعرات القومية والشعوبية والمذهبية [14].

وفى هذا المخاض الفكرى المضطرب ظهر ابن خلدون معبرا عن هـذا الواقـع مصورا ومشخصا لإشكالياته فى فلسفته التاريخية التأمليه وفلسفته التاريخيه النقدية معالجا منظومة الفكر الاسلامى ، و إشكالياته النظرية فى النقل والعقل ونقل مفهوم التاريخ من قوالبه القديمة الإخبارية السردية إلى مبدأ التحليـل العلمـي لدراسـة الحدث التاريخي الذي يتطلب فهما لمختلف المعارف والسياسات والعلوم والتقاليـد والفاعليات الاجتماعية (علم العمران) وهكذا يتضح ان ابن خلدون لم يتوقف عند حدود دراسة الحدث التاريخى ، بل تعداه إلى كل المعارف التي تـرتبط بتطـور ونمو المجتمع منطلقا من نظرته للفكر فى المجتمع الاسلامى الذى ظهر غير منظم وغير ممنهج .

كما هو معروف أن المعرفة تتكون من النقل واستخدام العقـل فـى تشخيـصها وتمحيصها ، ولهذا تنـبه ابن خلـدون فى وقت مبكر لما يعانيه الفكر ولا سـيما التاريخ من إشكاليات حولته عن مضامينه واتجهت به إلى الاتجاهات التي سـلبته وظيفته وخصوصيته ، وبذلك تحول التاريخ من مرشد إلـى مـتهم خاصـة وأن المعرفة التاريخية لاتقوم إلا على مقدمات وقوانين لايمكن قياسـها علـى أشـياء أخرى ، وبذلك عارض ابن خلدون بعض المعارف التي لاتتقيد بالنقل والعقل مثل علم الكلام ،والفلسفة والتنجيم والسحر والكيمياء وكذلك التصوف ، الذى لم يعتبره علماً. وصنف المعارف فى علوم طبيعية وعلوم فقهية وعلوم اجتماعية ، وينقـل عن ابن خلدون تأثره بالتشتت الفكرى الذي ساد في زمنه مما جعله يركـز علـى الماضى ويعالج إشكالياته من أجل إصلاح الفكر التاريخـى وبذلك نقـد كتابـات القـدماء مثل (المسعودى)[15]. ويبدو ان نظرة ابن خلدون كانت تعبـر عـن معاناته التي عاشها نتيجة لاضطراب الدولة وانتـشار الـصراعات والحـروب والأوبئة ، واعتقد أن الكتابات التاريخية لا تشخص طبائع الأمور البشرية بـسبب

[14] ـ نفس المرجع السابق ـ ص ص 234-236-147-149-252-260
[15] ـ نفس المرجع السابق ص309- 310

الجهل أو البعد الزمني أو مابها من مغالطات وأوهام ومجاملات نقلها الكتاب والرواة التي احيانا لا تصدق وتخلط الحقائق بالاكاذيب[16]. وأكد ابن خلدون أن حركة التاريخ تبدأ بالحياة البدوية وتنتهي بالتحضر والاستقرار في دورات متتالية ويتضح من فكرة انزعاجه من أوضاع الحياة القبلية والتعصب في المجتمع الإسلامي في المنطقة المغاربيه[17] لاسيما عندما انتشر التفكك والتشرذم في الدولة الإسلامية ، وعمت الفوضى والاضطرابات ، واشتدت الصراعات القبلية والحروب بين الدويلات التي أصبحت لاتقوم على سند شرعي أو ديني بل تحركها العصبية القبلية (بنو مرين ــ بنو عبد واد ــ الحفصيون ..) وتحولت المنطقة المغاربية ساحة للصراع والتنافر في وقت كانت فيه الهجمات الصليبية على أشدها فيالأندلس والمنطقة المغار بية للقضاء على الإسلام ، وأنتشرت الفتن والامراض ، وزادت اطماع العصبيات القبلية للسيطرة على المدن والحكم ، فبقدر ماتمتلك القبيلة من قوه ومقاتلين تستطيع أن تفرض سيطرتها على الحكم والأرض لاسيما وأن المنطقة المغاربيه يعيش سكانها على الارتباط بالأرض رعياً وزراعةً ولعل ذلك ما يدفع لازدياد حدة الصراع من اجل السيطرة على المرعى والأرض الخصبة .

إن طبيعة المجتمع البدوي تجعله لا يخضع للسلطة الحاكمة ، ولا يلتزم بطاعتها فى دفع الضرائب ، ولا يحترم النظام الحاكم في حالة ضعفه ، وكثيرا ما تتجنب الأسر الحاكمة التصادم مع القبائل الكبيرة تفاديا لعداوتها ، وتحاول كسبها للاستنجاد بها فى حالات الحروب . أما القبائل الصغيرة فهي تجد نفسها مضطرة إلى الدخول فى حماية القبائل الكبيرة للحفاظ على كيانها ، ومهما كان حجم القبيلة فأن طاعتها دائما للسيد الأعلى (الشيخ) وولاءها لسيدها ، ومعاداته تعنى معاداة القبيلة ، وعرفت المنطقة التحالفات القبلية لمناصرة بعضها في الصراعات ومواجهة الخطر ، وتكون عظمة القبيلة فى كثرة رجالها وامتداد نفوذها وامتلاكها للأرض وفى الغالب أن أنصار الحاكم يكونون من عشيرته أو القبائل المتحالفة

---

[16] - ، نفس المرجع السابق _ ص ص 311- 312- 313- 314

[17] - - نفس المرجع السابق ،ص 323-329

معه ، والتي تلتزم بطاعته أثناء قوة السلطة وإذا ضعفت سلطته فكثيرا ما تنشق عنه بعض القبائل ، وغالبا ما كانت أموال الإمارة تأتي عن طريق الضرائب والرسوم ، أو التجارة وأحياناً من عمليات الغزو، ويلاحظ أن ضعف الإمارة تأتي بسبب قسوة أو ضعف الحاكم ، وتمرد أنصاره عليه [18]. وبانهيار الأندلس جاءت إلى المنطقة المغاربية هجرات كبيرة من السكان أثرت في الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وأصبح الحكم لصاحب السطوة والغلبة ، ولم يلتفت الحكام لأراء الفقهاء والمهتمين في هذا الشأن وذلك بعدم التقيد بالنواهي والأوامر الدينية ، وتركز الاهتمام على المكاسب والسلطة ، والتخلص من العناصر التي يشك في طاعتها لهم ، ونشروا الفتن في الإمارات المجاورة لهم ، لإشغالها وإضعافها.

إن هذا الوضع المضطرب تسبب في انتشار الفوضى وعدم الاستقرار و لم تكن الحركة الفكرية قادرة على معالجة هذه الاوضاع ، وانحصر الفكر في هذا الزمن في مسائل العبادة الجامدة وأهل التصوف الذين كان لهم سلطة وتأثير على الناس ، وسيطرت الخرافة والخزعبلات ، وفي خضم هذه الأوضاع اعتقد ابن خلدون إن الاهتمام بالتاريخ هو الجانب القادر على معالجة الإشكاليات للاستفادة من تجارب الماضي ، وحتى عندما ظهر النزاع على الخلافة كانت المرجعية تستند على القرآن والسيرة النبوية وفي حالت الخلاف في اللغة يتم الرجوع للسان العرب وبذلك اعتبر ابن خلدون أن الحل يكمن في الرجوع للتاريخ خاصة وأن القرآن تناول التاريخ في كثير من النصائح والنواحي للاستفادة والاعتبار، ويبدو أن لاهمية التاريخ دخلت الخرافات اليهودية في التفاسير ، وكان موقف ابن خلدون ينطلق من فهمه التاريخي لما يعانيه هذا الفكر من الإشكاليات التي انعكست على سلوك الناس لما أظهره الكتاب باتجاهات مغرضة قد تكون كتبت تحت ظروف سياسية أو مذهبية أو اجتماعية معينة ويتضح ذلك من تأثرهم بما نقلوه عن الأمور

[18] . د. محمد عابد الجابري ـ فكر ابن خلدون ـ العصبية والدولة ـ ط السادسة ، مركز دراسات الوحدة العربية ص ص 23-25

السياسية والمذهبية بالانحياز وعدم الموضوعية ، أو تمجيد النظـام الـسياسي أو الحاكم مما جعل أولئك المؤرخين يقومون بدور أشبه بالدور الإعلامي [19] .

ومن المعروف ان التدوين التاريخي عند العرب بدأ بنقـل الروايـات والأخبـار والتحري على دقتها ومحاولة الحرص على الصدق والأمانة لكن ذلك لم يجنـبهم الوقوع في الأخطاء بنقلهم لتاريخ الأمم من منطلق أن الإسلام جاء لكـل الأمـم وباستمرار الزمن اتجهت كتابة التاريخ إلى خصوصية زمن دولة المؤرخ لها ثـم بعد ذلك اتجهت الكتابة للنقل والتكرار من السابقة إلى اللاحقة نتيجة للضعف وعدم القدرة على التطوير وذلك بتكرار الأحداث وعدم تحرى الصدق من الوهم ، ثـم ظهرت كتابة الاختصار التي تقيدت بالأسماء والعنـاوين والتـواريخ ، وكانـت الكتابات في العصر الحديث تعمل تحت تأثير الخوف فنهجت اتجاه المعنى أكثـر من التفسير وعدم التزام الموضـوعية " الناقـل والـراوي" بـسبب المذهبيـة والاختلافات والمبالغات وتبرير الأعمال غير المقبولة بالكذب والتزييـف ونقـل الروايات المستحيلة ، وإغفال التطور وعدم التعبير عما يشغل الناس مما يحتم نقد الرواية والراوي للتأكد من كيفية وقوع الحدث ، فالتاريخ لـيس مجـرد حـوادث تتعاقب ، فهو مثل مختلف العلوم تحكمة عوامل مؤثرة في نسيجه وبنيتـه، ومـن المهم البحث في خواص المنهج التاريخي المكونة لموضوعاته لأن علم التـاريخ يختص بفاعليات البشرمن مشاهد الحياة الاجتماعية ، بالتركيز على الوقائع وليس على ما يصوغه العقل ، ويذكر ابن خلدون أن للجغرافيا أثرها في أخلاق البـشر وألوانهم ، ولهذا وضع ابن خلدون علم العمران لضبط العملية التاريخية وتفسيرها ولم يلتزم بوضع قواعد منهجية واعتمد على سيرة التاريخ واصفا الحياة دون تميز أو أهواء وبذلك فسر أن العصبية تقوم على أساس المصلحة والمعاش واعتقـد أن عدم وجود سلطة يدفع الناس للفوضى والتنازع[20] ، واستمرت المنطقة المغاربيـة في حالـة ركود من الناحية الفكريـة ، وتمزق وتفكـك مـن النـواحي القبليـة والسياسية ، وذلك الواقع أضعفها أمام الهجمات الصليبية وجعلها غير قادرة على

---

[19] ـ نفس المرجع السابق ـ ص ص 26-28-30-32-89-93

[20] ـ نفس المرجع السابق ـ ص ص 95-98-104-106-110-113-125-126-159-176-197

التصدي لهذا الخطر الداهم مما جعل بعض الزعامات في المدن تحاول التقرب من القوة الصليبية لتجنب خطرها ، وفي العهد العثماني انحسرت التيارات الفكرية العربية وسيطر الخمول والضعف على المنطقة العربية لمدة أربع قرون ولم يتنبه العرب لما يخطط لهم من قبل الصليبيين إلا بعد ما شعروا بضعف الدولة العثمانية وعدم قدرتها على حماية الوطن العربي وديار الإسلام.

ولم يستطع العرب مواجهه الصعاب بسبب ضعفهم وتخلفهم ولم تنجح المحاولات التي بذلت للاستفادة من التراث لما أصبح يعانيه من إشكاليات بسبب حركة الاستشراق وضعف الجانب العربي ، وعدم قدرته على الأخذ بمعالجة المنهج التاريخي القادر على توضيح التراث والاستفادة منه ، ومحاولات البحث في هذا المجال كانت محدودة ودون المستوي المطلوب ، وظهرت أولي هذه المحاولات مقترنة بظهور حركات النهضة العربية بمعزل عن الكيان العثماني منذ القرن التاسع عشر[21] متأثرةً بالنمط الأوروبي بشكله الظاهر ومقلة بشكل ساذج وضعيف ، وغير قادر على معالجة الإشكاليات بسبب تخلخل وتفكك المنطقة العربية فى ظل النظام الاقطاعي العثماني ، ولم تظهر حركات قومية مترابطة على مستوي الوطن العربي بدافع الشعور القومي بل ظهرت فئة متأثرة بدعاية الفكر الأوروبي تدفعها مصالحها للارتباط بالنظام الغربي المتناقض مع النظام العثماني مثل جمعيات النهضة الفكرية في القرن التاسع عشر ، وبذلك عملت على تحريك الشعور القومي للتخلص من السلطة العثمانية ، لاسيما بعد أن ظهرت فيها بوادر الضعف أمام الهيمنة الأوربية والتي اكتسحتها من خلال حركة الاستشراق وعبر عن الاستفادة من التراث بشكل تفاخر وتعصب وتقليد ومبالغة وتكرار مشوه من خلال تناوله في كافة مجالات الأدب والتعليم والنشر ، ولم يتطور في أساليبه ومضامينه وهذا الإتجاه في دراسة التراث كان بدائيا في أساليبه ومتخلفا على الرغم من طموحاته ودوافعه التقدمية التي تطمح إلى مواجهه التحديات مما دفع إلى الشعور بالغبن والعجز أمام المصاعب ، وظهر ذلك برد فعل بانتشار الحركات والانتفاضات للتحرر الوطني ومواجهه الفكر العنصري الأوروبي الذي

[21] - حسين مروه ـالنزعات المادية فى الفلسفة العربية الاسلامية ط السادسة - دار الفارابى - بيروت سنة 1988- ص ص 5-6

سطح فكر الأمم المحتلة وسفه تراثها بقصد استصغار المجتمعات وقطع صلتها بتراثها وتاريخها وإقناعها بالقصور من النواحي العرقية والتاريخية حتى تصبح غير قادرة على صنع الحضارة [22] .

تأثير الاستشراف الصليبي في التراث العربي .

لقد نظر الأوربيون المستشرقون إلى الفكر العربي على أنه غريزي تركيبي أما الفكر الأوروبي فقد اعتبروه منطقي تحليلي ، وسيطرت هذه النظرة على الأدبيات الأوربية طيلة مختلف العصور لتبرير عمليات الغزو والهيمنة ولذلك روجت النظريات العنصرية المتعالية التي اعتبرت أن الفكر التقدمي والتراث الحضاري مركزه أوروبا [23] وكانت ردت فعل الأمم المغلوبة قد عملت على التمسك بمفاهيمها باعتبار أن فكرها مركزه الشرق فضخمت وبالغت في درجة التأثير الفكري التراثي ، فنادى التيار السلفي بتمسك بالتراث ليتماثل الماضي والحاضر ، متجاهلاً التطورات والتغيرات التاريخية واستخدامه في صراعاته المذهبية بتوظيفه لمصلحته ، وبذلك حولته لقضية ومشكلة معاصرة ، بدافع ردت فعل متأثرة بالتعصب الغربي الأوروبي متناسيا أن التماثل والتطابق لا يمكن أن يحدث في كل العصور ، وبذلك أصبح التراث في خضم الصراع والتحدي ومن أبرز ميادين الخلاف العقائدي ، الأمر الذي يتطلب تحديد منهجية تجنبه التخبط ، وتجعل التعامل معه بعلمية وموضوعية تتماشى مع التطور المعرفي ، الذي يعرض فهم مكوناته الفكرية وهذه المنهجية تتمثل في مختلف المعارف (التاريخ ــ الأدب ــ الفن ــ الفلسفة ..) ، وهذا يحتم التفرقة بين فهم التراث ومعرفته ، فالتراث مكونات ثابتة ، بينما معرفته إضافة خارجية تختلف باختلاف المعارف الناتجة عن مواقف سياسية ، و عقائدية فكرية [24] وتتعدد قوالبه كما تتعدد النظرات إليه . ومعالجته تتطلب قاعدة فكرية ، وفهم وقدرة ووحدة العقيدة وعدم تعدد المصالح الطبقية .

---

[22] ـ حسين مروة ـ نفس المرجع ـ ص ص 7-9

[23] ـ نفس المرجع ـ ص 10

[24] المرجع السابق ـ ص ص 13-17

إن التراث يتكون من ارث الماضي وينظر إليه بنظره معاصرة ، غير أن هذه النظرة يجب أن تستوعبه من زمنه التاريخي وظروفه التي انتجته ، وخصائص عصره ، وليس جره إلى الحاضر كما يعتقد السلفيون ، الذين يبنون فكرهم على مسائل غيبيه قدرية مثالية ، ويتناولونه بمعزل عن الإرادة البشرية . أما الفئات العلمانية فيتداخل فهمها للتراث مع منظور القوى الأجنبية المعادية للعنصر العربي لتأثرها بالعلاقة المادية بين الطرفين . أما الجانب التحرري فنظرته طموحة [25] لكنها تفتقر إلى القدرة والوسائل التي تستطيع أن تعالج بها التناقضات التي كثيرا ما تجر هذه الإطراف للخلافات والصراعات ، فالتيار السلفي انشغل بقضية التراث أكثر من غيره للاستفادة منه في أيدلوجيته ، وذلك بإسقاط صورة الحاضر والمستقبل على الماضي ؛ لخدمة مواقفه الفكرية والسياسية و لتجنب التقليد والوقوع في الفكر الأوروبي ، وأعتبر هذا التيار أن العودة للأصول هي السبيل للتمسك بالأصالة والهوية .

بينما التيار العلماني المتأثر بالحداثة الغربية استند لنظرته للتراث على حركة الأستشراق التي شككت في معارف التراث الإسلامي واعتبرته مستمدة أصوله من اليهودية واليونانية والفارسية والهندية والمسيحية ، وفسر التراث العربي بأنه مجرد نقل من السابقين ويلاحظ وقوع هذا التيار في الاستلاب الحضاري والتاريخي ، في حين فسرت المدرسة الماركسية التراث من زاوية الصراع الطبقي والتناقضات بين المثالية والمادية [26] .

وأهتم التيار القومي بالتراث من أجل تأكيد الحركة القومية في كيان الأمة ، لتحقيق الوحدة بالاستفادة من المقومات المعنوية للعرب التي تستند على (اللغة ــ التقاليد ــ المصالح ...) ولذلك حاول هذا التيار تسخير الأدب في خدمة هذه الآمال إلا أنه وصف على أنه اعتمد على العقل في تفسيره لتراث وحركة التاريخ [27] ومن التضارب بين هذه التيارات يتضح عدم قدرتها على معالجة الإشكاليات في الفكر التراثي ولذلك اتجهت إلى الصراع ، والاختلاف في التعامل مع الفكر التاريخي ،

---

[25] ـ نفس المرجع السابق ـ ص ص 24-26

[26] ـ محمد عابد الجابري ـ المرجع السابق ـ ص 22

[27] ـ قسطنطين زريق ، نحن والتاريخ ـ ط الرابعة ـ دار العلم للملايين بيروت ـ سنة 1979 ـ ص ص 14ـ 15

خوفا على مصيرها المهدد والذي نعتقد أنه يتطلب معالجة جذرية ، لحل مشكلة الحاضر التي نتجت عن مشاكل وإشكاليات الماضي [28] ولكن كيف يستفاد من التراث في الفكر المعاصر ؟

إن الفكر التراثي في أصالته وتعاملنا معه أشبه برسالة الإسلام وتعامل المسلمين معها . ولذلك يجب فهم التراث فهماً تاريخاً لمكوناته وأصالته بالرجوع لأصوله ومصادره الأصلية ، ولا نلتزم بقيود الاستشراق لفهم التراث ولابد من العمل على تجنب الصراعات الطبقية والمثالية والمادية في مواقفنا من التراث ، ولابد من وضع استراتيجية فكريه تعالج الاستفادة من التراث تجنبه إشكالية المنهج والرؤية والموقف [29] ، ترفض فهم التراث المبني على المغالطات والخرافات ، لأن مسيرة الحياة ليست مساراً ميكانيكياً متشابهاً لا يقبل التطور أو التغير ، ومن هنا تتضح أن الإشكالية المنهجية تبرز في غياب الموضوعية في نقل التراث ، التي لا تمكن من الاستفادة منه في الحاضر ، فالرؤية هي التي تطرح الفكر والإشكالية، أما المنهج فهو يحدد العلاقة بين القارئ والمقروء ، فالإشكالية هي اختلاط الأمور والتباسها والتي تتمثل في تحريف النصوص ، واستخدام المغالطات ، وعدم إتباع الموضوعية في النقل والدراسة [30] ، ومن هنا انتقلت إشكالية التراث إلى النهضة والفكر عن طريق الكتابات من خلال تعدد الأراء وعدم الاهتمام بمعالجتها ؛ لتأثر الكتاب بمعتقدات ومواقف جعلتهم في حالة استلاب فكرى [31] ، نتيجة للغزو الفكري الذي رسمت معالمه القوة الصليبية ، وكونه مرحلة مهمة في ميدان الصراع الإسلامي الصليبي مكن القوة الصليبية من تحقيق أهدافها وغاياتها في التصدي للإسلام من خلال الحروب الصليبية والتي كانت أهم مراحلها الحروب الفكرية عن طريق حركة الاستشراق الواسعة التي اهتمت بدراسة وتحريف كل المعارف والعلوم العربية للقضاء على المقومات المعنوية للعرب ثم جاءت حركة الغزو والاحتلال الحديث كمرحلة ثالثة في هذا السياق المدفوع بالحقد الصليبي ، والساعية لتحقيق أطماع اقتصادية وهيمنة وسيطرة على المجتمعات

---

[28] ـ نفس المرجع السابق ، ص ص 30- 34

[29] ـ محمد عابد الجابرى ـ نحن والتراث ـ ط السادسة 1993 ـ ص ص 12-16

[30] ـ ـ نفس المرجع ـ ص ص 21-23-27

[31] ـ ـ نفس المرجع ـ ص ص 27-28

العربية الضعيفة ممهدة إلى ذلك بدعاية واسعة ومظللة رافعة شعار تحرير المجتمعات من العبودية والتخلف وأخذها إلى الحداثة والتحضر ، غير أن الممارسة الفعلية بعد الغزو أو الاحتلال تركزت على قهر إرادة المجتمعات وسلب الثروات وتدمير القيم والقضاء على الهوية وتحويل المناطق المحتلة إلى إقطاعيات للمستوطنين ومجالاً للتبشير بالفكر المسيحي الصليبي وتغيير المجتمعات وربطها بفكر الغاصب المحتل .

والمنطقة المغاربية من ضمن مناطق الوطن العربي الذي تعرض للغزو والاحتلال والعدوان والتأثير الذي شمل الأرض والهوية والإمكانات والكيانات ، والذي أسفر عن تجزئة مناطق جغرافية بعيدة بعضها عن بعض ، وتكريس التقسيم الإداري العثماني ، وصار يتألف من كيانات منفصلة ، فالطرف الغربي والأوسط من الوطن العربي هيمنت عليه فرنسا ، وجزء صغير أحتل من قبل أسبانيا ، وأجزاء من الشرق احتلتها إيطاليا [32] لقد أنهت الهيمنة الأوربية والغربية الدويلات الكلاسيكية والكيانات المغاربيه ، وأدخلت المنطقة في أزمة تاريخية وفكرية ونفسية وفتكت هذه الهيمنة بالتقاليد والنظم الاجتماعية بعد أن مهدت لذلك بالغزو الفكري ، مثل الفرنسي والإيطالي الذي أعاد ترتيب المنطقة ومكوناتها المادية والفكرية بما يضمن لها السيطرة والإحتلال ، وترتب على ذلك سلب الهوية الوطنية وجعل أبناء الوطن يندمجون وينصهرون في نظام الاحتلال ، بالتبعية والخضوع وإقناعهم بتأخرهم وعدم قدرتهم على النهوض، وجعلهم يرتبطون بالمدنية الغربية من واقع متأزم وبدون وعي ، كما عمل الاحتلال على إفراغ المنطقة من محتواها الفكري والروحي ، باعتبار أن تخلفها يرجع لحضارتها وتراثها.

والمشروع الاحتلالي المعادي عمل على تبديد إتجاهات الوعي والفكر في إتجاهات مختلفة ومتعارضة ،حتى تنشغل في واقع هامشي غير قادر على تكوين فكر يستطيع أن يحافظ على الأصالة والهوية ، ويتفق الكثيرون على فساد هذا

---

[32] - محمد عابد الجابري - (يقظة الوعي العربي في المغرب مساهمة في نقد السيولوجيا الاستعمارية) [تطور الوعي القومي في المغرب العربي] ، مركز الدراسات الوحدة العربية بيروت ، سنة 1986 ، ص 36 - 37

الواقع وعقمه وعدم القدرة على إيجاد الحلول لهـا [33] ، وكانـت حركـة الغـزو والاحتلال قد عملت على ترجيع المنطقة إلى الأوضاع التي كانـت عليهـا قبـل الإسلام ، ولذلك عن طريق إرسال الجواسيس والمستكشفين في دفعات متلاحقـة لمعرفة المنطقة وسكانها وتركيباتها الاجتماعية وخاماتها ومعالمها ، مثل الفرنسي شارل دوفوكو ، الذي انتحل شخصية يهودي واستعان ببعض اليهود في اكتـشاف الجانب الغربي والأوسط من المنطقة المغاربية مبعوثا مـن الجمعيـة الجغرافيـة الفرنسية وسارت على هذا النهج العديد من الجمعيات الفرنسية والإيطالية وتحـت رعاية الجامعات ، وبمباركة القوميين ودعاة الغزو والتوسع ، وقامت مخططاتهـا بإرسال مجموعات من الجواسيس والمستكشفين ، لمحاولة تنصير أهـل المنطقـة لتصبح طيعة للاحتلال ، وكانوا يعتقدون أن عرب ماقبل الإسلام كانوا أكثر سهولةً لسيطرتهم ، ولذلك ركزوا على إقناعهم بأنهم أصحاب الأرض الأصليين ، ودفعهم لرفض عرب مابعد الإسلام، وشجعهم على ذلك ضعف سلطة الحاكم الذي كـان نفوذها محدود ، ولا يمتد إلى القبائل المنتشرة في الـصحاري والجبـال ، كمـا اعتبروا الوازع الديني بين هذه القبائل ضعيف مما يسهل مهمة تنصيرها، واتبعوا مبدأ التفرقة بين السكان، وتشجيع كل منهم على نهج يخالف الآخر (الأمـازيغ ــ وعرب ما بعد الفتح)، ولتحقيق ذلك شجعوا بعض الزعامات القبليـة، وأغروهـا بالعودة إلى أعرافها وتقاليدها وركزوا على التعليم بلغة المحتل وتشجيع اللهجـات المحلية وإهمال اللغة العربية ورابطة الدين ، بحجة تحـديث الـسكان وإلحـاقهم بالحضارة الأوربية، ونظروا للكتاتيب ومراكز التعليم الديني بعدم الارتياح ولأنها لاتساعد على التبشير بالمسيحية والتنصير، وركزوا بشكل واضح على الأوضـاع التي كانت سائدة في المجتمع المغاربي قبل انتشار الإسلام ، مستفيدين من التأثير العاطفي وربطوا مدارسهم بمدارس الاحتلال ،وكلف بتدريسهم قساوسة ورجـال دين تابعين للكنيسة ، ويمكن حصر أسـلوب المحتـل فـي الـسيطرة الإداريـة والعسكرية والسياسية والاقتصادية والفكرية والتبشير الديني ، وتكوين ظهير مـن أصحاب الأرض لدعم سياسة ومخططات الاحتلال ويلتزم بتبعيته سياسياً وعقائدياً

[33] ـ برهان غليون ـ اغتيال العقل ـ ط ـ الثالثة ـ سنة 1990 ـ مكتبة مدبولي [ص ص 5-26-29]

وفكرياً . وكانت هذه الأساليب أكثر وضوحا في الجانب الغربي من المنطقة المغاربية [34].

غير أن السكان بمختلف انتمائهم لم يظهروا ميلا أو قبولا للمخططات والأساليب الاستعمارية ، و لم يفلح الاحتلال فى تتصير السكان ، ولا في القضاء على روابطهم القومية والوطنية ، ولمجابهة الاحتلال تكونت التنظيمات السياسية والحركات الجهادية وكانت قوى الاحتلال قد ربطت طموحاتها بالاستفادة من سطحية الفكر وضعف الروابط السكانية ، وأعتقدوا أن عرب ماقبل الإسلام في المنطقة المغاربية يرفضون الدين الاسلامى ، كما يرفضون العرب القادمين معه وتظاهرت هذه السلطة بالاحترام الشكلي للدين الاسلامى وأهملت شريحة واسعة من السكان المنتشرة في الصحاري والجبال [35]، غير أن ذلك ساعد هؤلاء على الاستمرار في تقاليدهم الاجتماعية ومعتقداتهم الدينية ، ولكنهم عانوا من المصاعب المعيشية والتعليمية ، لكن وحدتهم رابطة العروبة والإسلام ، وتوطدت اللغة العربية على حساب اللهجات المحلية ، وتوحد معظم السكان في اتباعهم المذهب المالكي ،ولم تنتشر الحياة المذهبية ، كما لم يظهر الفكر الشعوبي في المنطقة وتمسكت الهجرات السابقة للإسلام بخصوصيتها في ظل الدين[36] ، ومع ذلك فأن الإنسان ألمغاربي في ظل الاحتلال كان ينظر لنفسه من خلال صورة السلطة الغازية على أنه صغير هامشي ، ولا معني لوجوده في وطنه ، وأمام ذلك لم يستطع الإنسان المغاربي التخلص من هيمنة المستعمر الأوروبي ولكنه لم يقبلها كواقع مفروض عليه واستمرت هذه السيطرة على الإنسان المغاربى ، وهو متردد بين الخوف والانبهار والطموح والضعف رافضا في نفسه هذه الهيمنة وغير قادر على مواجهة وسائلها وآلياتها وهكذا وجد الإنسان المغاربي نفسه في موقف محرج بل مأساوي ، فإما الحفاظ على الذات والهوية ، أو التخلي عن أصالته وتراثه ، والانخراط في مدنية الغرب الأوروبي ، وهذا الواقع يهز الإنسان المغاربي ويجعله في تعاسة غير قادر على روح المبادرة والإبداع وأكثر تمزقا في الساحة

---

[34] ـ محمد عابد الجابري نفس المرجع السابق ص ص (38 – 44)

[35] ـ نفس المرجع السابق (ص ص 50 ، 56 ، 58)

[36] ـ مصطفي الفيلالي (ظاهرة التمازج بين العرب والدين)[تطور الوعي القومي في المغرب العربي ـ مركز الدراسات الوحدة العربية] بيروت ،1986 ، ص 25

الفكرية ، ولمواجهة هذه الإشكالية لابد من فهم الذات والمشكلات ، وهي أول خطوة للإنسان المغاربي للخروج من المأزق الفكري، وإشكالياته والتمسك بأصالته وتراثه الذي لايمكن الاستغناء عنها ، ورفض ماعداها من عوامل التفكك والانهيار ، وضعف الوعي والاستلاب الفكري ، يتسبب في ألازمات الفكرية والاجتماعية والسياسية [37] ولم يتمكن الفكر العربي حتى الآن من تحديد الأسس والمعالم لقيام مشروع فكري عربي قائم على معالجة هذه الإشكاليات ، ويلاحظ في هذا الشأن أن الجدل الفكري العربي تتجاذبه معتقدات ومذاهب وتيارات سياسية تدفعها المصالح الخاصة والضيقة التي تخلط بين المفاهيم والمطالب والانشغال بقضايا جانبية تبعد الفكر عن أهدافه الوطنية والقومية وتحرفه عن مقاصده ، بسبب العقائد والأيدلوجيات المتنافرة نتيجة لانعدام أرضية مشتركة .

ولتحديد ثوابت توجه الفكر نحو الغايات العليا ، ويظهر اثر هذه الإشكاليات في التكوينات السياسية والفكرية وما تعيشه المنطقة من تناقضات ، فالمتأثرون بالفكر الغربي اعتبروه بمثابة تجاوزا للفكر القديم ، بينما نظر أنصار التراث أن الفكر الغربي يعد سيطرة فكرية عزلت الإنسان العربي عن أصالته، ونظروا لأنصار الفكر الغربي على أنهم في حالة أستلاب فكري ، وجعلوا من أنفسهم أقلاماً مروجة لخدمة الاحتلال وفكر الاستشراق ، لارتباطهم بالوجود الاجنبي [38]، ولكن هذا الجدل هو مجرد سجل نظري عاجز عن تقديم وسائل عملية ترقي بالفكر لخدمة مصلحة المجتمع وتجنبه الخلاف والتنازع والصراع العقائدي، وتعالج الإشكاليات والمشكلات ، التي تسببت في التفكك والتأخر ، وهناك من يرجع أسباب الخلل الفكري إلى فهم الناس لرسالة الإسلام من خلال التفسيرات الخاطئة والقاصرة واتجاههم إلى السطحية والخرافة [39] والتزمت والتأثر بالفكر الأوروبي على انه علم روحاني إذ نظر هؤلاء إلى التراث العربي على أنه روحاني بينما الفكر الأوروبي علمي ، وطالبوا بضرورة الاستفادة من هذا الفكر بمحاسنه ومساوئه كما يعتقد (طه حسين) بحجة أن التطور العربي يحتاج إلى هذا الفكر ، وأما الدين

---

[37]- برهان غليون - نفس المرجع (ص ص 5- 26 – 29 – 32 – 36 - 41)
[38] - (نفس المرجع السابق) ص 44،45،46
[39] - (نفس المرجع السابق) ص 50-58-186

فهو مسألة بين الإنسان وربه وأما التقدم يتطلب التحديث والتغيرات النوعية والكمية في السلوك وهذا واضح في أفكار كل من (زكي – نجيب محفوظ) ، وساد مفهوم بين أصحاب هذا الإتجاه مفاده أن المعرفة اليقينية هي القائمة على الفكر مستمده من أقواله ومناهجه ، على أن الدارسين في الدول الأوروبية على أنهم أكثر قوة وفهماً من المسلمين ، وهي نظرة تقليدية أكثر منها علمية وقائمة على أخذ المعارف الجاهزة ، وهذه العقلية تجاهلت التراث والدين ، باعتبار ذلك سحر خيالي لا يتفق مع الحركة العلمية في حين ما سمح لهم بأخذه من المعرفة محدود مقارنة بما وصلت إليه التقنية الأوربية والغربية ، وفي هذا الخصوص يلاحظ وضع خط فاصل لحدود التقدم العلمي لدي العرب ، إلا في حدود خدمة المصالح والهيمنة الغربية [40] واستهلاك إنتاجها بالتركيز على النخب المرتبطة بها ، وتجاهل القاعدة العريضة من السكان وتركها مشغولة بهمومها المعيشية في مجالات الزراعة والرعي والحرف التقليدية التي تحتاج إلى جهد العضلات وليس العقل .

هذا الموقف الغربي ينبع من مسألة أخلاقية تريد من المجتمعات الضعيفة أن تعيش في حرمان دائم وحرية مقيدة [41]. ونظر إلى الأخلاق على أنها عقبة في طريق الهيمنة الغربية لما تفرضه من قيود على صاحب الأطماع .

أن التمسك بالأخلاق في منظور الفكر الأوروبي هو حجة الضعيف ، وفي مقابل ذلك لم تظهر نظرية عربية منتجة في الفكر الحديث والمعاصر ، فالممارسة العلمية والمعرفية أستمرت متكلة على المعرفة الغربية، واكتفت بما تأخذه منها كما أظهرت قصورها حتى في الاستفادة من المعارف الوافدة ، ومع ذلك تأثرت أساليب الفكر العربي بالنمط الأوروبي ، وأصبحت المعرفة المعروضة أمام المتلقي مثل السلع المعروضة أمام المستهلك ، ولم تعد اللغة العربية مرجع للبحث العلمي ، لأن العرب يعيشون في حاضنة الفكر الأوروبي ، واكتفي الفكر العربي في تعامله مع الحداثة الغربية بالشكل دون التعمق في الجوهر والمضمون [42] .

---

[40] (نفس المرجع السابق) (ص ، 187-188-194-195-212-213-215-216-217-218)

[41] (نفس المرجع السابق) (ص ، 241-242-248-255)

[42] - (نفس المرجع السابق) (ص ، 256-259-273-274-275-279-283-284)

فالحداثة الغربية لاتحترم قيم وتقاليد وهوية الضعيف ،وأمام هذا الواقع المدمر عجز الفكر العربي عن إثبات وجوده ،وانشغل في صراعات نظرية عاجزة عن مواجهه التحديات التي تهدد بنيته الفكرية بالانهيار ، وتجعله غير قادر على إثبات ذاته أمام الفكر الأوروبي ، إن الأمر يتطلب معالجة فكرية تتجاوز الإشكاليات والتيارات والاتجاهات الأنانية والإقليمية وتفرق بين المفاهيم السياسية والعقائدية والتراث القومي الدخيل ، والتعامل مع المعرفة على أنها صلة الوصل بين كل الأفكار ويجب الاستفادة منها لخدمة الإنسانية ، وتمكيناً لشروط التقدم والتمسك بالحفاظ على مقومات الهوية والقومية لابد من إعادة النظر في بنية النظم الاجتماعية للمجتمع العربي ، ونشر الوعي وتخليصه من القيود .

إن العقل العربي قادر على فهم واستيعاب الفكر الإنساني ، فلا يوجد في مقدماته ومقاييسه ما يمنع ذلك مما يساعد على انتشار الحركات والتيارات الفكرية ، ولعل سبب عدم تكيف الفكر العربي مع الفكر الوافد الأوروبي في جوانب عديدة يكمن في أنه لم يتضمن المعايير الصحيحة الواضحة في خدمة الإنسانية ، ولم يتيح الفرصة للتقارب الانسانى من مفهوم حاجات كل الناس .

أن الفكر الغربي ركز على طمس وتسفيه المجتمعات الضعيفة وجعلها تابعه للفكر الغربي[43] ، وهذا تسبب في إحداث التوتر والنظر إلى الحلول الجاهزة وعدم الارتياح ورفض الأمر الواقع ، مما أوجد تناقضات فكرية حتى بين أبناء الوطن الواحد ، مما أدى إلى شغلهم عن الاهتمام بالعلوم والتطور ، وهذا مما فرض علينا أزمة في فكرنا الحديث فيما يبرز من تعارض بين تحقيق الهوية والحضارة والتراث والحداثة ، وترتب على ذلك انشقاق الوعي العربي[44] ، وانطلاقاً من هذا الواقع يعتبر وجودنا مهدداً بدون قيام مشروع فكري يحافظ على الكيان والهوية ويوحد الجهود ويمكن من التصدي والتحديات ، ولتحقيق ذلك لابد من اتفاق على مشروع فكري تجمع فيه الجهود والطاقات ، ويحمي

---

[43] - نفس المرجع السابق ،(ص - 304-307-308-320-330-331-336-338-339)
[44] - نفس المرجع السابق ، (ص - 340-342-343)

من التشتت والتمزق ، الذي جعل المهتمين بالقضايا الفكرية يقفون في مفترق الطرق ، وتتلاقفهم النظريات والتيارات[45] .

فإن غياب عقيدة توحدهم وتجنبهم الضياع ذلك أن المنطقة المغاربية من أكثر المناطق العربية تعرضا للتشتت الفكري والقومي نتيجة لأساليب الاحتلال ومحاولاته لدمج السكان تحت هيمنته وطمس هويته ويعتقد المهتمون بالفكر القومي في هذه المنطقة أنه مستمد مؤثراته من المشرق، ولم يقوم أمام النزاعات الوطنية والإقليمية ، التي كرسها الاحتلال الأجنبي من خلال غزوه الفكري لكنه لم يستطع القضاء على الشعور القومي في وجدان الناس ، غير أن التعبير عن ذلك كان ضعيفا وسطحيا ويفتقر للتنظيمات ، ويتضح بروز الشعور القومي في الأزمات بالتعبير عن الانتماء ويلاحظ أن رابطة الدين تعد أقوى من الرابطة القومية ، ولعل ذلك يرجع إلى انتشار الدين الإسلامي وإتباع المذهب المالكي .

ونظرا للتمزق القبلي فأن النمو الفكري ، والقومي كانا ضعيفين أمام الولاء القطري المشجع من النظم السياسية ، التي لم تهتم بتنشيط الحماس القومي، وهذه الإشكالية في الفكر وفي المفاهيم ، والوعي تسببت في مأزق نهضوي جعل المنطقة تتخبط بين القطرية والشعور القومي وهنا يحتم البحث عن مشروع فكري يتجاوز كل هذه العقبات ويقلل من التذبذب والإحباط الناتج عن الاحتلال والغزو الفكري الذي تسبب في ظهور الحركات الدينية مستنده إلى مرجعية دينية ثابتة ، الأمر الذي أدى إلى ضعف التيار القومي الذي لم يستطع تكوين مرجعية فكرية ، ولأتسام المنطقة المغاربية بالجمود الفكري والعلمي فلم يظهر فيها جدل فكري بارز، وكانت النظرة القومية غالباً عاطفية تفتقر إلى الفعل والممارسة لضعف العزيمة بسبب الضغوط السياسية والمعيشية والتشتت [46] .وفي هذا الجو استمرت اللغة الأمازيغية بين الناطقين بها على نطاق محدود في تعاملاتهم الخاصة واتبع العديد من أصحابها المذهب الخارجي (الأباضية) ، ويبدو أن ذلك جاء كرد فعل على انتشار اللغة العربية والمذهب المالكي علما أن اللسان

---

[45] - عصمت سيف الدولة - نظرية الثورة العربية ، دار الفكر ، بيروت ،(ص ص - 7-8-9)

[46] - محمد الهرماسي ، عبدالمجيد الشرفي ، وآخرون ، الوعي القومي في المغرب العربي (ص ص، 71-73 -81-87)

الامازيغي هو لهجة عربية قديمة ولم تعش الألسن الأوروبية في المنطقة برغم فرضها بقوة الاحتلال ، وكان انتشارها محدوداً . وركز المستشرقون على تجمعات الامازيغ لاعتقادهم بعجزهم ،وعدم قدرتهم على مواجهة الاحتلال ، ويستخلصوا ذلك من تعدد الأقوام التي اكتسحتهم عبر الزمن، ويبنون ذلك على ضعفهم وتخلفهم مما جعلهم يعتمدون على فكر الغزاة في حياتهم في وقت كانت ولازالت المراكز الإسلامية تقوم بدورها في نشر التعليم والتعريب مثل " القيروان وفأس وتلمسان..." ،.

مما زاد من انتشار اللغة العربية و قوتها اكتساح قبائل بني هلال وبني سليم للمنطقة المغاربية في رقعة واسعة ، وأزاحت كثيراً من القبائل السابقة لها في إتجاه الجبال والصحارى ، ولكنها لم تستطع تكوين كيانات مستقرة بسبب البدوية القائمة على الترحال ، والتنقل ، ونظراً لقوتهم وجبروتهم ، استنجدت بهم بعض الكيانات السياسية في حروبها ، وصراعاتها " بني مرين – بني زيان – بقايا الدولة الموحدية "[47] وفي نفس المرحلة الزمنية ، سيطرت قبائل بني حسان على مناطق شنقيط ، واكتسحت القبائل البدوية المرتبطة بحركة المرابطين ، وأجبرتها على التخلي عن معادات الحسانين واتجهت للحياة الدينية [48]، وفي تقديري أن هذه الأوضاع المضطربة للمنطقة المغاربية ،وما تعيشه من تفكك وضعف أمام فكر الغزاة وهيمنتهم السياسية والاقتصادية وما تسببت فيه من إشكاليات ، يتطلب قيام مشروع فكرى يوفق بين الهوية والحداثة والعالمية من خلال الإبداع الذاتي وذلك لحماية المجتمع والحيلولة دون اندماجه فى الفكر الآخر ، في حلول شكلية أو هروب من الواقع بحجة عدم القدرة على استيعاب المعرفة ، ونعتقد أن ذلك لايمكن من الأخذ بمقومات الحضارة ، التي تأتي من مجتمعات متحكمة في إلياتها ووسائلها ومحتكرة لها ، وهذا لا يحل مشكلتنا بل يزيدنا تأخراً وضعفا .

---

[47] - محمد حسن - الاصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي - تطور الوعي القومي في المغرب العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ، سنة 1986 ، ص ص 115-116-123-132-134

[48] - احمد ولد حسين - مظاهر الوعي القومي عند متقفي بلاد شنقيط في القرنين الثامن والتاسع عشر - تطور الوعي القومي في المغرب العربي - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ، سنة 1986 ، ص ص 96-97

إن الاهتمام بالفكر التراثي من الخطوات الأولى لحل إشكالياتنا ، وللأخذ بأسباب الحضارة الحديثة ، وقبول التناقض بينهما في الحركة الفكرية باستخدام العقل وقبول الخلاف وليس اختلاف الحوار محفزاً للإصلاح ومجنبا للتمزق .

الفصل الثاني

منهجية حركة الاستشراف

نزعة الاستشراف الفكري

استغل المستشرقون الصليبيون الحاقدون التراث والفكر العربي في محاربة العرب والمسلمين وذلك بإعادة صياغته بما يخدم أهدافهم من خلال المواد المكتوبة والمطبوعة والموجهة بمختلف الأساليب والطرائق الصليبية ، التي سخرت للحرب النفسية وهي حرب شرسة ، أدواتها الكلمة والكتابة ودور الطباعة ، تحت إشراف ورعاية الكنيسة مستخدمةً إمكانياتها وتنظيماتها الفكرية والمادية دافعة برجال الدين والفكر الصليبي بعد أن تنبهوا تأثير دور الفكر في حركة الإنسان العربي ، وقد استهدفت هذه الحرب التراث والتاريخ ومختلف المجالات الفكرية ، مثل إعادة صياغة التراث الفكري والمادي وكتابة التاريخ من منظور صليبي وتشويه اللغة العربية والدراسات الإسلامية .

ووضعت نظريات عرقية معتمدة على تفسيرات يهودية وصليبية ، قائمة على تحريف وتزوير نصوص دينية لتحقيق غايات عنصرية ، وبالرغم من اختلاف المنظور الديني بين إتباع هذين الديانتين إلا انه تجمعهما روح العداء للعرب والمسلمين.[1]

حركة الاستشراف

فما هي حركة الاستشراق ؟ ولماذا اهتمت بدراسة الفكر العربي الإسلامي ؟

هي حركة صليبية ظهرت في أحضان الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا منذ بداية القرن الرابع عشر الميلادي ، تنفيذاً للقرار الكنسي بالتوجه للحرب الفكرية بعدما فشلت في ميدان الغزو المسلح ، وبدأت برنامجها الفكري بتدريس اللغات الشرقية لاسيما العربية في جامعات أوروبا الغربية ، وكانت في بدايتها تستهدف مواجهة المسلمين واليهود والأرثوذكس لتنصير غير المسيحيين والسيطرة على الكنيسة الشرقية .

وبدأت بوادر هذه الحركة في المنطقة المغاربية في 1305 م على يد عدد من المستشرقين بهدف التنصير والقضاء على الإسلام ، وأرسل لهذا الغرض العديد من الرهبان والمبشرين في محاولة للتأثير على السكان وتحويلهم إلى المسيحية

---

(1) محمد الطاهر الجزائري، " منابع الفكر الغربي" مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، الطبعة السادسة، 1984م، ص ص 317-318.

وحاول عدد منهم إقناع رجال الدين المسلمين التخلي عن العقيدة الإسلامية غير أنهم لم ينجحوا في ذلك ، ولحقت بهم حملة صليبية إلى هذه المنطقة في عام 1390م استهدفت العقيدة الإسلامية وتاريخ وحضارة العرب .

الاهتمام الصليبي بالفكر الاسلامي

هذه الروح الصليبية ترجع بدايات معاداتها إلى الفتوح الإسلامية للمناطق المسيحية تمثلت في طرد المسحيين من الشام والمنطقة المغاربية والاناضول بالرغم من إظهار الدوافع الدينية الا إن الحركة الصليبية كانت لها غايات اقتصادية وسياسية ، وتولت مجموعات من المنظمات الديرية الحملات التنصيرية مثل ما حدث في المنطقة المغربية والتحامل على الإسلام والمسلمين وتشويه التراث الإسلامي في نظر المسيحيين ويلاحظ أن الكنيسة الكاثوليكية في السابق تحريمها ومنعها للأوروبيين من الإطلاع على المعارف الإسلامية ، وفرض قيود على عقولهم وبعد أن سمحت بالإطلاع على التراث العربي أهتم الصليبيون بهذا الفكر وظهر في أوروبا تيار عمل على الاستفادة من الفكر الشرقي والإسلامي ، مما ساعد ذلك على قيام النهضة الأوروبية كما ظهر إلى جانبه تيار آخر حاقد على الإسلام والفكر الإسلامي ونشطا هذان التياران حركة الاستشراق .[2] ، 2 .

وربطت هاتان الحركتان الفكر بالنواحي السياسية والعسكرية بقصد استخدام الفكر في محاربة المسلمين التي كانت نواته الأولي الحملات الصليبية ، بعد أن استفاد المجتمع الصليبي المسيحي من المنجزات الفكرية العربية الإسلامية من خلال الصلات عن طريق الدولة البيزنطية والأندلس ، وجزر البحر الأبيض المتوسط للعمليات التجارية ثم عن طريق الحروب الصليبية ، ومن خلال تأثر الفكر الأوروبي بالمفكرين المسلمين ، وارتبطت الأهداف الفكرية لتحقيق غايات سياسية عن طريق الغزو والاحتلال المتمثلة في موجات من الحملات الحاقدة ، استمرت ما يقارب من قرنين لأغراض صليبية مستترة بالدين ، أن أقدم المهتمون بالفكر العربي المتأثرون بالمدارس الأندلسية والصقلية لدراسة الفكر الإسلامي ، بدوافع دينية وبدعم وبرعاية من الكنيسة ومن أبرز رواد هذه الحركة القساوسة ورجال

---

[2] سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث في التاريخ الإسلامي وحضارته، عالم الكتب، القاهرة، 1987م، ص ص 11-16.

الدين.[3] ، وهذه الظاهرة تعتبر حلقة من حلقات الحرب الصليبية ضد العرب والإسلام والتي تركزت على الجانب الفكري واهتمت بدراسته ، وذلك لتحقيق السيطرة الصليبية الاقتصادية والسياسية والفكرية على العرب والمسلمين ، ولذلك دفعوا برجال الدين والمبشرين والضباط والجواسيس والرحالة والعلماء والمؤرخين والتجار والسياسيين لتنفيذ هذه المهام ، ومن المعروف أن أقدم الاحتكاكات بين القارة الأوروبية والوطن العربي ترجع إلى أيام الكنعانيين والرومان والزمن الهلنستي الذي كان أكثر اختلاطا وتأثراً ، وتأثيراً في تراث العرب ، لاهتمامه بالصلات الفكرية ، وانتقلت عن طريق هذه الصلات المعارف بمختلف المجالات بين الوطن العربي وأوروبا ، وكانت الأندلس من أولى المحطات الفكرية التي اهتمت بها الحركة الصليبية ، فأرسلت إليها رجال الدين والفكر الصليبي للتعلم في مدارسها والتمكن من فهم الحضارة الإسلامية وترجمتها للاتينية ولم تكن غايتهم الناحية العلمية إنما الإطلاع على الفكر الإسلامي لمواجهته بروح صليبية ، ولذلك ترجموا القرآن بقصد فهمه والرد عليه من منظور صليبي ، وتعصب بشري من منطلق نظرتهم للإسلام بأنه هرطقة ، مخالفاً للمسيحية وتشكل خطرا عليه ، كما اهتموا بدراسة اللاهوتيات فيما يعرف بالعهد القديم ، لاستخدامه في مواجهه الفكر الإسلامي ، ولهذا ركزوا على دراسة اللغات الشرقية بما فيها اللغة العربية ، وكونوا المعاهد والجامعات ، في مختلف الدول الأوروبية ، ونقلوا إليها الكثير من المخطوطات والمصادر الإسلامية وعبر ذلك عن تطور التعصب الصليبي بأتجاه الحروب الصليبية لميدان الغزو الفكري والتبشير الصليبي،[4] وتركز اهتمامهم على المنطقة العربية وتوحدت الدولة الصليبية في معاداتها للعرب والإسلام .

---

[3] حسين مروة، نفس المرجع السابق، ص107-109.

[4] مناسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، الجزء الأول دار المدار الإسلامي بيروت، 2002، ص23-25-30-31-42-43-47.

غير إن هذه الجركة واجهتها في البداية صعوبات اللغة والجهل بخصائص التراث والعقائد والتقاليد وعدم القدرة على استخدام الحجج والبراهين المقنعة ، ولعل ذلك ما دفع بإرسال الحملات الاستشراقية لدراسة اللغة والتراث والفكر ، وركزوا بشكل بارز على الفكر العربي بالتشويه في بنيته ، واهتم بعض رجال الدين الصليبي بتراث العرب ، وانشاؤا لذلك المدارس والمعاهد ، واستولوا على التراث الأندلسي ، وترجموا ونقلوا مخطوطاتها ومصادرها إلى جامعاتهم ومراكزهم ، ومع ذلك لم يفلح المبشرون الصليبيون في التأثير على عقيدة المسلمين حتى بعد إتقانهم للغة العربية ، واهتم صليبيو الأندلس وصقلية بالمنطقة المغاربية ، وأرسلوا لها العديد من المبشرين ، غير أن ذلك كان بعد العنف الذي مورس ضد مسلمي الأندلس ، من خلال محاكم التفتيش وحرقهم لكتب وتراث المسلمين ، مما أضعف جهدهم ، ودفع بالصليبيين في فرنسا إلى الأخذ بزمام الريادة لحركة الاستشراق في المنطقة المغاربية والذين اعتقدوا بأنه يمكن القضاء على الدين الإسلامي والفكر العربي وذلك بكتابة الإنجيل باللغة العربية والسريانية ؛ لهدف رد المسلمين عن دينهم ، ونبذ معتقداتهم إلى جانب الأهداف السياسية والفكرية والاقتصادية ، وتجزئة المسلمين لإضعافهم أمام المد الصليبي ، للتفرقة بين أفكارهم وقلوبهم وتشويه صورة المجتمع الإسلامي ، وإظهار الدين الإسلامي على انه دين تخلف وعدم صلاحيته للحداثة ، وأهم وسائلهم لتحقيق هذه الغايات استخدام الفكر وتقديم المساعدات والهبات المالية باسم المسيح ، وتحت راية الصليب ، ونشر المراكز العلمية والخيرية ، وبرغم استفادة الصليبيين من ذخائر الأندلس الفكرية ، إلا أن ظهور الدولة العثمانية وسيطرتها على معظم الوطن العربي أفسد عليهم مخططاتهم التنصيرية ، غير إن الرحالة والمستكشفين والجواسيس والمبشرين واصلوا نشاطهم [5] في المنطقة العربية لمعرفة إمكانياتها وخصائصها وثرواتها وطبائع سكانها وتقاليدهم ، تمهيداً لعمليات الغزو والإحتلال التي

[5] نفس المرجع السابق، ص48-49-50-51-53-54.

رعتها الجامعات والجمعيات الجغرافية والعلمية ، وبذلك شملت مهمة الاستشراق الاستكشاف خدمة للأغراض السياسية والاقتصادية.[6]

وكانت دراسة التراث بنية البحث عن السلبيات وتضخيمها لذلك سكتوا أو تجاهلوا الإيجابيات ، وطعنوا في الدين الإسلامي باعتباره يعيق العقل ، وتمسك المسلمون بالنصوص وعدم استخدام العقل واعتماد فكرهم على المصادر اليونانية ، وإتباعهم للأوهام ، وهذه النظرة الاستشراقية يبدو أنها مبنية على عقدة التعالي وتفوق العنصر الأوروبي واعتقادهم بأن الفكر العربي لا يحمل من العربية إلا حروفها ، ولابد في هذا السياق من التفريق بين مهمة جمع التراث العربي والطعن في بنيته وإن كانوا منطلقين من عقلية صليبية ومركزية الفكر الأوروبي على الرغم من اهتمامهم واعترافهم بأهمية الفكر الإسلامي من الناحية الإنسانية إلا أنهم ينادون بمصادر الفكر اليوناني والروماني ، باعتباره نهر فكري استمدت منه أوروبا ، وذلك بترجيع كل شئ إلى مركزية أوروبا بمفهوم إمبريالي يطرح ما يريد ويقمع ما يرفض.[7]

غير أن ما يمكن تسميته بفضل المستشرقين على الفكر العربي يكمن في البحث والتنقيب وجمع مصادره ، مما ساعد على حفظه من الضياع والاندثار، بعد أن مرت عليه مرحلة طويلة من التجاهل والعزلة ، ولكن ما نقله المستشرقون وترجموه كان مليئاً بالأخطاء والتشويه ، بقصد أو بدون قصد مما تسبب في إشكاليات فكرية ، اتضحت من خلال تناولهم لدراسة التراث ، واهتمامهم به وذلك عن طريق جهود بعثاتهم العلمية والبحثية ، والجامعات المتخصصة والمطبوعات الفكرية والسياسية

وكان تركيزهم على الوطن العربي باعتباره قلب العالم الإسلامي ، ولهذا ركزوا بشكل متواصل على التراث العربي ، بقصد السيطرة على الفكر وصياغته بما يخدم مصالحهم ، وتطويع المفكرين العرب وتحويلهم إلى أدوات تابعة لهم ، بعد تجريدهم من عواطفهم وانتمائهم ، بعزلهم عن تاريخهم وعن تراثهم ، وتسخيرهم

---

(6) نفس المرجع السابق، ص55-57.

(7) محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، ص 63-65-75.

لتنفيذ مخططات الفكر الأوروبي في الكتابة والتدريس ، باعتبار التراث العربي مثالي وخيالي عاجز أمام الفكر الحديث ، ويلاحظ إن أساليب الاستشراق تثير الاستغراب من خلال تشويهها وتشكيكها ، في بنية التراث واستدرجوا بأسلوبهم النقدي الكثير من الكتّاب العرب بمنهجيتهم المغرضة .

مخطط منهجية الاستشراق

وتمحورت الدراسات الاستشراقية على الفكر العربي التراثي في عدة محاور من أبرزها : [8]

1. إتجاه ركز على سلبيات الجنس العربي أي بمعني دراسة الناحية العرقية باعتبار أن العرب محكومين بالقصور الطبيعي ، وعدم القدرة على الإبداع وأن فكرهم تركيبي غريزي ، وأفاقهم المعرفية محكومة بالروحيات .

وبذلك وضعوا جداراً جبرياً أمام الفكر العربي لمنعه من التقدم ، وفرضوا وهماً بأن الفوارق بين البشر تقوم على خصائص عقلية وعنصرية ، وليس على القدرات واستخدام العقل مثل مقارنة " هنريش " بين الشرق والغرب التي ذكرها حسين مروة ، باعتبار أن الشرقي لا يعرف النزعة الإنسانية ، بينما الغربي إنساني مثل الفكر المسيحي ، وتوارثها المجتمع الأوروبي بمختلف مراحله ، القائم على الفكر اليوناني والروماني ، أما العرب فليس لهم حضارة ولم يضيفوا شيئاً للفكر ، وحتى نظمهم الإدارية نقلوها عن الفارسية و اليونانية أما آرنست رينان فانه ركز على الجنس ووضع أحكامه من خلال دراسة التشابه السنسكريته مع اللغات الأوروبية والناطقين بها صنفهم من الآريين بينما اللغات الأخرى اعتبرها شرقية وبذلك الأفضلية للجنس الآري.[9]

وكانت لهذه النظرية أثرها الخطير في الفكر الأوروبي واتضحت في الفكر النازي الذي احتقر الأجناس الأخرى وظهر خطر هذه النظرية العرقية في فكر المستشرقين واللاحقين ، مثل غوبيته المنظر للاحتلال الفرنسي ، الذي ميز بين العقل الشرقي وبين العقل الآري ، حيث الآريّ هو العقل القادر المفكر بينما

---

[8] حسين مروة، المرجع السابق، ص ص 107-109-111.
[9] المرجع السابق ص ص 112 - 118.

الإسلامي فكر جامل ، ومستمد من الفكر اليوناني وطبق نظريته على المجتمع المغاربي ووصفه بالركود والتخلف عن ركب الحضارة وكذلك اتبع نفس النهج المستشرقون الألمان ، وحاول المنظرون للآرية والمعادين لفكر الشرق إرجاع بعض العلماء المسلمين إلى الجنس الآري ، كما ارجعوا أصول الفكر الإسلامي إلى اليونانيين والمزوكية الفارسية .[10]

2. افترض أنصار هذا الاتجاه الاستشراقي مركزاً أوروبياً للفكر العالمي ، وبنوا نظرياتهم على أن أوروبا الغربية هي مركز هذا الفكر ، واعتقدوا أن هناك تناقضاً من الناحية الفكرية بين الشرق والغرب ، وارجعوا ذلك إلى تفوق العنصر الأوروبي ، وصاغوا لتبرير ذلك نظريات عنصرية معتمدة على الأوهام والخرافات للسيطرة على قارتي إفريقيا وآسيا ، وأصبح مفهوم الغرب الأوربي يضم الولايات المتحدة الأمريكية ، وهي نوع من التصنيف العرقي سار عليه العديد من المفكرين الأوروبيين في نظريتهم للفكر ، باعتبار إن الشرق غير قادر على صنع الفكر ، لتبرير السيطرة الإمبريالية على المجتمعات الضعيفة ، مما ترتب عليه ردة فعل عند الشرقيين والأفارقة لمحاولة تحديد نظرية مركزية لهم مستندين في ذلك عن فكر الشرق وتراث الزنج ، باعتبار أن فكرهم إنساني وفكر الغرب معادي للإنسانية ، غير أن الفكر غربياً أو شرقياً هو إنعكاس لمستوي الوعي .

أما العقل ووحدة التفكير فهي واحدة ، ويحدث الاختلاف في أنماط وطرق الفكر ، وبعد الحرب العالمية الثانية أهتم الغربيون بمحاربة الفكر الماركسي واخذوا يُظهروا ميلاً لاستخدام الفكر الشرقي الإسلامي .

3. اهتم فريق من المستشرقين بدراسة الجوانب المحافظة في المجتمع العربي واعتبروها غارقة في الغيبيات ومتجنبة النواحي المادية والتفكير في مواجهة الأخطار أو الأبعاد ، وفي هذا الشأن ركز المستشرقون على دراسة الاتجاه الغيبي والفكر التصوفي ، وفي هذا المجال ناقشوا لفظ المشرق ، وادعوا بأنها الحكمة التي لا تنطبق على العرب ، واعتبروا أن ظاهرة التصوف نموذج

---

[10] نفس المرجع السابق ، 119--122-125-128.

للفكر الشرقي المتخلف والمجرد من العقلانية ، والذي لا يرقي إلى مستوى الفكر الغربي المتميز بالعقلانية والإبداع والتفكير المادي في التعامل مع القضايا الفكرية ، وصوروا التصوف الشرقي على انه نوع من الهروب ، لعدم القدرة على التفكير حتى في مفهوم الفكر التصوفي.[11]

4. ظهر اتجاه في الفكر المستشرقي قريب من الإيجابية في التعامل مع التراث الشرقي ، وبنى هؤلاء نظرتهم على وحدة الفكر البشري ، ورفضوا الطرح القائل بأن أوروبا هي ربةُ الفكر ومركزه ، ولا يمكن أن تحتكر جهة معينة الفكر أو يتم تصنيف البشر وفق منظور عنصري ، لأن الفكر الإنساني واسع والتاريخ وحدة عالمية ، ولكل مجتمع مستوى حضاري معين ، وقالوا بانتقال المؤثرات بين البشر مهما اختلفت درجة الوعي والنشاطات المادية والفكرية ، كما أنهم رفضوا وجود أمة بدون تاريخ وكان المستشرق هاملتون .أ. جب من أكثر المتفهمين للفكر الإنساني ويلاحظ من هذه القوالب الاستشراقية أنهم حولوا الفكر التراثي العربي إلى مشكلة في بنيته وفي علاقته بالتاريخ الحديث والمعاصر ، وتعددت آراء الحاضر للتراث ، منطلقة من تراكيب اجتماعية وفكرية وصراعات عقائدية وتناقضات مصلحيه ومصيرية ، وأثر ذلك على العلاقة بالتراث.[12] ومن ابرز التنظيمات الاستشراقية لدراسة الفكر ثلاث إتجاهات : ــ

1. **اتجاه الفكر الفيلولوجي ــــ**

نشط أنصار هذا الإتجاه في القرن التاسع عشر في تحقيق النصوص اليونانية واللاتينية ، ونقدها للبحث عن أصول الفكر برفض النظرة الشمولية للفكر وإتباع التجزئة في رد كل فكرة إلى أصلها ،وركزوا جهودهم على أوروبا ولم يعترفوا بأصول فكر غير أوروبي .

---

[11] ـ نفس المرجع السابق ص ص 133- 135 -137.
[12] نفس المرجع السابق . ص ص 23 ،24 .

2. الإتجاه الفردي أو الذاتي ـــــ

وهذا الاتجاه يرفض المنهج الشمولي في التاريخ ويرفض التجزئة ، وينـــادي أصحاب هذا الفكر للتعامل مع الفرد بوصفه صاحب الفكر والإبداع وهم بذلك لا يعـــتدون إلا بمفكري الفكر الأوروبي .

3. الإتجاه الشمولي ـــــ

وهذا الإتجاه أعاد بناء الفكر الأوروبي في مركزية أوروبية غربية واعتبروها هي التاريخ العالمي للإنسانية ، غير إن مفكري أوروبا لم يوحدوا فكرهم ، إلا في القرنين الأخيرين ، وتنوعت أفكارهم ومنـــاهجهم فـــي أطـــار المركزيـــة الأوروبية ، وبذلك كانت غايتهم بناء فكر أوروبي موّحد ليكون مرجعاً للفكـــر العالمي ، وتظر المستشرقون للفكر العربي على أنه فكر مقتبس وبأن العقليـــة العربية قبل الفكر اليوناني ليس لها أي أثر ، وكانت معارفهم مرتبطة بظواهر الطبيعة وفي حالة عدم الإدراك يرجعها إلى مسائل غيبية وهو حكـــم مـــسبق على عقلية العرب ووصفهم بالعجز ، باعتبار إن العقل المبدع هو العقل الآري واعتبروا أن دراستهم للفكر الإسلامي تمكنهم من فهم الفكر اليوناني وربطـــه بالفكر الأوروبي ، وتعرفوا من خلال الفكر الإسلامي على منجـــزات الفكـــر اليوناني وكيف انتقلت المعرفة اليونانية عن طريـــق الفكـــر الإســـلامي إلـــى المسيحي ، وهكذا يتضح أن جهود المستشرقين انصبت علـــى وحـــدة الفكـــر الأوروبي ومركزيته متجاوزاً واقع المجتمعات الأوروبية المتعددة في الأصول والأعراق ، والمختلفة في اللغات والتقاليـــد ، ولا تجمـــع بينهـــا إلا الوحـــدة الجغرافية أو التعصب الديني ، ولخدمة غايتهم وأغراضهم العنصرية عملـــوا على تجزئة الموضوعات الفكرية ، وعملوا على أخذ الأجزاء التي يريـــدونها من الفكر ويحاولون أن يرجعوا كل جزء إلى أصل محـــدد ، وذلـــك بتفتيـــت الموضوع بجزئيات وإهمال ما لا يناسبهم وينطلق هذا الاتجاه من حكم مسبق ، وهم بذلك كثيراً ما يخرجون الموضوعات عن محيطها إلى خارجها ، وفكرنا

وتراثنا في مجمله لم تدرسه حركة الاستشراق بموضوعية ونحن نكرره ونقلده.[13]

ويلاحظ أن منهجية المستشرقين قد بنيت على النقد والشك في دراسة التراث العربي ، فإلى جانب النقل والتحقيق اتبعوا منهجية المقابلة والمطابقة ، غير أنهم حكمتهم نظرة غير موضوعية وأحكام مسبقة ، ونظراً لعدم تخصص الكثير منهم في الفكر العربي كثيراً ما سطحوا الأفكار ونظروا لها من خلال نظرة الشمولية وكثيراً ما وصلوا إلى نتائج غير منطقية ، ويتضح ذلك من نكرانهم لرسول الإسلام ونزول القرآن الذي أعتبروه من مؤلفات العرب وإتباع منهجية الشك والنقد التاريخي ، وأرادوا من ذلك تطويع الفكر إلى غاياتهم متأثرين بالبيئة الأوروبية ، التي ترفض القديم لكثرة الأخطاء في الموروث ، واعتبروا أن الحقيقة هي ما يقبله العقل ، وطبقوا النواحي الإنسانية على العلوم التجريبية من الناحية الموضوعية المحكومة بذهنية الباحث بشكل تعسفي ، وأغروا الكثير من الأوروبيين في الحملات الصليبية من اللصوص والمنحرفين والمشردين والقراصنة بالثروات والنعيم ، وكانت الكنيسة تطمح من وراء ذلك لتحقيق أرباح طائلة ، غير أن فشل الحروب الصليبية قد ترتب عليها ردة فعل نفسية بين الصليبيين تسببت في تخلي الكثير منهم عن الدين المسيحي ، ودخولهم الدين الإسلامي ، مما دفع الكنيسة لتأسيس محاكم لمحاكمتهم بتهمة الهرطقة وإعدامهم للتركيز على حركة التبشير التي تطورت فيما بعد ، وأصبحت مهامها سياسية إلى جانب الدين ، واهتمت الإرساليات التبشيرية بالشباب خاصة من العرب المسلمين في المنطقة العربية بعد أن خاضت تجربة مع رجال الدين لم تحقق نتائج تذكر ، وركزت على نشر الفتن بين المسلمين والأتراك العثمانيين[14] ومنذ بداية القرن العشرين دخلت الولايات المتحدة الأمريكية إلى ميدان التبشير والهيمنة ، وشجعهم على ذلك الانقسامات الواضحة في العالم الإسلامي واعتقدوا بأنه يمكن افتراق المسلمين بسهولة ،

---

[13] محمد عابد الجابري ، نفس المرجع السابق ص 63 ، 65 ، 75 ، 77 ، 81 ، 83 .

[14] . عباسي سالم الحاج . نفس المرجع السابق ص ص 57 ، 79 - 81

وعقدت العديد من المؤتمرات مثـــــل (مؤتمر لنكاو ــ مؤتمر الألماني) ، وانتقلت بعض الإرساليات إلى بيروت ، وركزت على تنـصير عـرب شـبة الجزيرة باعتبارها موطن العرب الرئيسي ومركز ظهور الإسلام ومراكـز أخرى في البحرين وعدن ومسقط ، غير أن هذه المحاولات لم تنجح بينما ركز التبشير الفرنسي على المنطقـة المغاربيـة وكان من أبـــرز رواده رجـل الدين " لافيجيري "، مستغل الظروف الطبيعية والإنـسانية لإظهـار العطـف والرعاية للمحتاجين وهو صاحب جمعية الآباء البيض ، ثـم نـشطت هـذه الجماعة وغيرها من الحملات التبشيرية تحت حماية حراب الجنود ، وحاول " شارل فوكو " تنصير الطوارق ولكنه لقي حتفه على أيديهم بعد إتهامـه بأنـه جاسوس فرنسي ، وفي الجانب العلمي اهتمت حركـة الاستـشراق بجمـع مصادر التراث المغاربي من مخطوطات ونقوش وآثـار، ودراسـة اللغـات واللهجات ، وتجـولَ العديد من المستشرقين في المنطقة المغاربية بحثا عـن مصادر هذا التراث وجمعه ودراسته ، وتغلغل هؤلاء في هذه المنطقة ومنهـا وصلوا إلى أعماق القارة الإفريقية ، وكان للقناصل أدوارٌ مهمة في نجاح هذا النشاط ، وذلك بمساندتهم الرحالة والمستكشفين على الكشف عن كنوز العرب المادية والفكرية ومعرفة الطرق المؤدية للهند والشرق الأقصى ، للوصول إلى أرض التوابـل والبهارات والسيطرة على التجارة البحرية ، والبحـث عـن أسواق لمنتجاتها.[15]

كما قاموا بالتركيز على الأمازيغ في المنطقة المغاربية ، ومحاولة سلخهم عن أصولهم العربية وجعلهم ضمن العنصر الأوروبي ، وذلك لبث التفرقـة بـين السكان ونشر الخلافات والنزاعات العنصرية ، وكان شارل فوكو مـن أبـرز المستشرقين اهتموا بدراسة عنصر الأمازيغ واعتبروهم من أقـدم الجماعـات البشرية في المنطقة ونس من خلال كتاباتهم الكثير من الـسموم والتحـريض على الانقسام والتعصب.

---

[15] نفس المرجع ص 57 . 79 . 81 .

كما ينسب إليهم تكوين عدد من الكيانات المهمة التي أثـرت فـي الحركـة الحضارية ، ودرسوا عاداتهم وتقاليدهم واعتقدوا بسهولة تأقلمهم مع الأجنبي غير أنهم لم يدرسوا الأمازيغ في هذه المنطقة كوحدة متصلة تكوّن أكبر جماعة بشرية في المنطقة المغاربية في الفترة السابقة لظهور الإسـلام ، وتجـاهلوا بشكل متعمد دراسة أصولهم وجذورهم العرقية ، وأهملوا حركتهم التاريخيـة وعدم تكيفهم وتأقلمهم مع الاحتلال الأجنبي في مختلف العصور وما لعبوه من ادوار جهادية ونضالية امتدت على طول الساحة المغاربية ، كمـا تجـاهلوا امتداداتهم وانتشارهم في منطقة واسعـة وتجمعاتهـم القبليـة ، وسـهولة استجابتهم للدعوة الإسلامية وانتشار الدين الإسلامي واللغة العربيـة بيـنهم ، ونظـراً لتركيبة المنطقة المغاربية الخالية مـن المذهبية والشعوبية ، فأنهم لم يجدوا أمامهم ما يعولوا عليه في نشر الفتن بين الـسكان إلا التفرقـة بـين العرب الأمازيغ وعرب الفتح الإسلامي واظهروا ميلا وتعاطفاً مع الأمـازيغ وأعتبروهم أقليات مضطهدة في ظل الإسلام والسلطة العربية ، وساعدهم فـي ذلك ضعف الروابط السكانية للمنطقة المغاربية القائمة على التركيبة القبليـة ، وقلة وجود تراث أمازيغي مدون ــ يثبت أصالتهم وأثرهم الفكري وهم كغيرهم من العرب القدماء كانوا يعتمدون على التوارث الشفهي والروايات .

ويذكر المؤرخ الفرنسي " روتيه باسيه " إن فكرهم وتقاليدهم مـستمدة مـن الكنعانية ، وساروا عليه لفترة طويلة من الزمن ، واخـذوا عنهـا الأسـاليب الزراعية والصناعية ، وعلى الرغم من العديد من الدسائس الاستشراقية التـي تُعنى بجعل الأمازيغ من العنصر الأوروبـي إلا أنهـم لا ينكـرون انتمـائهم للحوض الحضاري للمنطقة العربية ، وعلى الرغم مـن تـأثرهم بالحـضارة الكنعانية إلا أنهم كوّنوا الكيانات الخاصة بهم التي من أبرزها الدولة النوميدية التي قامت باتحاد عدد كبير من القبائل للمنطقة المغاربيـة ، وتنـسب إلـيهم الحركة الوطنية الدوناتسية المعادية للاحتلال الأوروبي على الرغم من إعتناقها

الديانة المسيحية * ويشير الكاتب التـنبكتي محمد الكاتي في كتابه الفتاش أن أصول قبائل الأمازيغ ترجع إلى اليمن وجنوب شبه الجزيرة العربية ، ويؤكـد الكاتب الفرنسي " فلو ريان " تطابق تقاليد الأمازيغ مع عرب ما بعـد الفـتح ويشير " محمد شفيق " إلى امتدادات الأمازيغ في الـيمن والـشام وإريتريـا والصعيد ، ولم تتضح معاداتهم للغة العربية أو الإسلام أو مـيلهم للنزاعـات العرقية إلا بعد التأثير من الاحتلال الأجنبي ، ويذكر " آندريه باسيه " الفرنسي بأن لسان الأمازيغ لم يكن لساناً حضارياً أو لسان أدب وليس لهـم مـدارس متخصصة ، وشكك العديد من الفرنسيين في قدرة الأمـازيغ علـى الكتابـة والأدب والتنظيم الفكري .

ومن الملاحظ أن المستشرقين لم يكونوا منصفين في تنـاولهم لتـاريخ هـذه المجموعات البشرية التي انتشرت في المنطقة المغاربية ، والقـارة الإفريقيـة وبعض جزر البحر المتوسط ، فقد تجاهلوا حركتهم التاريخية ، ويبدو أن ذلك بشكل مقصود ، لعزلهم عن تاريخهم وماضيهم وجعلهم مجموعـات ضـعيفة وسهلة الإنقياد .

والدارس المدقق لتاريخ هذه المنطقة يستطيع أن يكتـشف بـسهولة دورهـم الحضاري ونضالا تهم الطويلة ومالهم من إرث اجتماعي وعادات وتقاليـد ، ويكفي دليلاً على ذلك ظهور الحركات النضالية التي تصدت للوجود الأجنبي من الرومان إلى البيزنطيين إلى الوندال ، وتذكر المصادر التاريخية فنـونهم القتالية وشدة مراسهم في الحروب ، وكانت الدولة الكنعانية قد اعتمدت عليهم لفترة طويلة من الزمن في تكوين جيوشها وحروبها.[16]

وتذكر المصادر الكلاسيكية الغربية تكوّن مجموعات كبيرة من هذه القبائل في حركات قتالية ضد البيزنطيين كان من أبرزها الحركة الدوناتسية التي اعتنـق إتباعها الديانة المسيحية ، واتخذوا منها منبراً لمحاربة الوجـود الأجنبـي ، وانخرطت تحت مظلتها جماعات محاربة عُـرفت بالدّواريين ، كما أن الدولة

---

(16) عثمان السعدي - البربر الأمازيغ عرب عاربة ، دار الملتقى للطباعة والنشر ، 1998 ص ص 17 . 18 . 20 . 24 . 30 . 31 . 37.

* نسبة القسيس الوطني دوناتس

النوميدية التي امتدت على طول المنطقة المغاربيـــة فـــي الجانـــب المواجـــه للصحراء والتي تكونت من اتحاد عدد كبير من القبائـل وتعتبـــر أول كيـــان سياسي موحد في المنطقة ،ولعبت دوراً مهماً في الصراعات ضد الرومـــان وضد الدولة القرطاجية في آخـــر أيامهـــا ، لكـــن الكتابـــات الاستـــشراقية الأوروبية لا تتناول تاريخ هذه المنطقة بموضـــوعية ومـــصداقية ، ويتبعـــون أسلوب التقسيم والتجاهل للعديد من الأحداث التاريخية ، وركزوا على التفرقة بين السكان وذلك لإبراز تيار أمازيغي مخالفاً للعرب وأحوالهم بأنهم ليسوا من أصول عربية ، وأن العرب محتلين لأرضهم ، واللغة العربية دخيلة عليهم .

وتظاهر الإحتلال الأوروبي بأنه جاء لإنقاذهم باعتبـــارهم ينتمـــون للمجتمـــع الأوروبي واتحدت الحكومات الأوروبية في دعم الإرساليات التبشيرية بعد أن اعتبرت أن المحاولات التبشيرية الفردية لم تقدم النتائج المطلوبة ، وتحمـــس لذلك القساوسة والرهبان والسياسيون تحت ظاهرة الدين وكانوا يسعون جميعاً إلى مكاسب اقتصادية والسيطرة علـــى خيـــرات الـــوطن العربـــي وطرقـــه التجارية.[17] ، وعملوا على نشر المدارس ودفعوا بجماعات تبشيرية صـــليبية محاولةً لنشر الفكر الصليبي ، وتنصير السكان وتطويعهم لخدمـــة الأغـــراض الصليبية ، وفي هذا السبيل سعـــوا إلى الإحالة بين السكان واللغـــة العربيـــة والدين الإسلامي إلا أن هذه المحاولات ونجاحهم كان محدوداً في تحقيق هـــذه الأهداف ، وكان المخطط من وراء ذلك القضاء على الإسلام وعزل الأمازيغ عن اللغة العربية وسلب هويتهم .

ولهذا يؤكد "الكاردينال لافيجيري " الذي هو من كبار المبشرين على أهميـــة دمج الأمازيغ في الفكر الأوروبي ، وتعليمهم الإنجيل بدلاً مـــن القـــرآن أو إرسالهم إلى المناطق الصحراوية لعزلهم عن المناطق المتمدنة .

وأسست بعض الدول الأوروبية أكاديميات لدراسة الأمازيغية ، وكونت فرنسا أكاديمية للأمازيغيين في المغرب الأوسط غير أنه لم تستطع أن تجعلهم كتلـــة مناصرين للاحتلال ، ودمجهم في المجتمع والفكر الفرنسي ، ولكنها استطاعت

---

(17) سلمى سالم الحاج ،نفس المرجع السابق ص 60 ، 62.

أن توجد نزعة أمازيغية بين بعضهم ، وظهر من بينهم متأثـــرون بالدعايـة التبشيريـــة الصليبية التي أقنعتهم بأنهم ليـسـوا من أصـولٍ عربيـــة ، وأنهم من أقدم سكان المنطقة ومنحدرين من أصول أوروبية ، وينقل عثمـان الساعدي عن هذه النظرية التي أجريت على الجماجم البشرية التي أكـدت أن إنسان المشرق العربي والمنطقة المغاربية متشابه إلى حد كبير ، وهذا يؤكـد أيضاً الوحدة السلالية للمنطقة العربية .

ويرى العديد من الباحثين أن سكان المنطقة المغاربية تكونـوا مـن هجـرات متلاحقة قادمة من المشرق وسبق أن أكد هذا " ابن خلدون " .

والمعروف أن أوروبا في تلك المراحل الزمنية كانت غير قابلة للحياة بـسبب الجليد مما يؤكد استحالة هجرات سكانية منها أو إليها ، وبعد انصهار الجليـد قدمت إليها هجرات من الشرق والجنوب وليس العكس ، وهي المناطق الأقدم في المؤثرات الحضارية والتكوّن الإنساني .

وهناك اعتقاد بين بعض الباحثين الأوروبيين مفاده أن اللغات الأوروبية القديمة والمعتقدات الدينية مأخوذة عن الوطن العربي (بيـار روسـيه ــ لانفـر) ، ويؤكد " غوتيـــه " أن أقدم التجمعات البشرية كانت فـي منطقـة الـصحراء الكبرى ، ولكنها بعد الجفاف تحركت شرقاً للاستيطان حول الأنهار والمناطق الخصبة ، وتؤكد الدراسات التاريخية التأقلم والتكيف بين الأمازيغ والكنعانيين لأن وحدة الأصل بين سكان المنطقة ووحدة العبادة والحياة الدينية ، ولاسـيما بعد الفتح الإسلامي أثبتت قوة الروابط السكانية مما ساعدت علـى رفـضهم وعدم قبولهم للفكر المسيحي.[18] بل كانوا معاديين وخاضوا صراعاً طـويلاً ضد الوجود الأوروبي ولم يقابلوا الإسلام بهذه الروح العدائية .

وسرعان ما اندمج الأمازيغ في الدعوة الإسلامية ، وأصبحوا قوة لها ، وتكلموا اللغة العربية ، ويبدو أنهم رحبوا بالإسلام لما لمسوه فيه من قوة لتخليصهم من الحكم البيزنطي ، ويركز أنصار النزعة الأمازيغية علـى التمـرد (كـسيلة والكاهنة) ويعتبرون ذلك تحدياً للفتح العربي الإسلامي ، غير أنـه كوسـيلة

---

[18] عثمان السعدي ، نفس المرجع السابق ص 37 . 39 . 43 . 48 . 56 . 60 . 63 . 66 . 67 . 69 .

كانت ردته بدافع العنجهية ورفض المساواة مع أتباعه أما الكاهنة فكانت تجهل رسالة الإسلام ولا تعرف أهميتها ، وكانت تعتقد بأن الفتح الإسلامي مثل الغزو الروماني والبيزنطي ، وضخّم المستشرقون هذه الأحداث لكي يستغلوها في نشر الفتن ، وتحريك النزعة الأمازيغية .

وقسم الباحثون الإسلاميون " الأمازيغ " إلى البرانس بمعني الحضر ، والبتر بمعني البدو ، وفي العهد النوميدي عرف منهم الجدالة سكان الصحراء ، والمزالمة سكان الهضاب ، وهي أسماء متعددة لمجموعة عرقية واحدة انتشرت في المنطقة المغاربية ، ولا يعرف في التاريخ عرق أو جنس بشري باسم " البربر" ، وإنما هذه التسمية أطلقها الأوروبيون على سكان هذه المنطقة بمعني " الهمج " أو غير المتحضرين وهي صفة تحمل معنى النقيصة والتحقير والحط من قيمة سكان هذه المنطقة القدماء ، وعرف عن الكتاب الأوروبيين أنهم كثيرا ما يطلقون الأسماء على السكان الذين لا يعرفون أصولهم ، وذلك من خلال صفاتهم أو موطنهم أو عاداتهم ، واهتمت الأدبيات للدول الغازية بالتركيز على الأمازيغ بقصد إضعاف المنطقة وتفتيتها ، وتجاهلوا تأكيد " ابن خلدون " في التشابه بين السكان في المنطقة المغاربية ووحدة العادات والتقاليد والأصالة والعشائرية ، وحاول المستشرقون ربط اللسان الأمازيغي بأصول اللغات الأوروبية ، ولكنهم لم يجدوا دليلاً يمكن الاعتماد عليه في إثبات السكان للأصول الأوروبية ، ومع ذلك وجدّ تشابه بين ألسنة المنطقة المغاربية وجزر الكناري ، وعوّلوا عليها كثيراً غير أنه فاتهم أن جزر الكناري هي امتداد للمنطقة المغاربية .

ويري العديد من الباحثين أن اللهجة الأمازيغية هي من بين اللهجات العربية القديمة المتعددة وتتفق مع اللغة العربية ، وغيرها من الألسن الشرقية في كثير من القواعد والتراكيب ، ويعتقد البعض أن عدم وجود تراث أمازيغي مرجعه طبيعة السكان الذين لا يدونون تراثهم ويتناقلون فكرهم وتراثهم وحكاياتهم

بالروايـة الشفويـة وهي عـادة كانت معروفـة بين العرب ، ويعتقد المؤرخ " دوسلر " أن أبجديتهم مأخوذة عن الكنعانية والمشتقة من المسمارية.[19]

ويلاحظ اهتمام المستشرقين الفرنسيين والأسبان والإيطاليين بالمنطقة المغاربية ، منذ بداية ظهور حركة الاستشراق وانشاؤا لذلك الجامعات والجمعيات ، واهتمت الجامعات الإيطالية بحركة الاستشراق وكوّنت لذلك العديد من المكتبات ، وركزت على التأليف والترجمة عن الفكر العربي الإسلامي وكان اهتمام المستشرقين الإيطاليين منصباً على الطرف الشرقي (ولاية طرابلس) من المنطقة المغاربية ، وعملوا على التفرقة بين السكان ، ولذلك ركزوا على دراسة السلالات للسكان والطبائع والتقاليد واستكشفوا المنطقة لمعرفة جغرافيتها وخاماتها وأهميتها (آتوري روسي ــ سارنللي) ، وهي كغيرها دخلت تحت ستار الدين ، وبالاعتماد على المبشرين لتحقيق أهداف ومكاسب سياسية واقتصادية ، كما اهتم الاستشراق الأوروبي بالبحث عن الثروات ومناطق النفوذ والسيطرة على مقدرات المجتمعات الضعيفة ، وزاد تمسكها بالتدخل في هذه المنطقة بعد قيام الحملة الفرنسية على المشرق العربي لشعورها بالخطر على مصالحها وطرق مواصلاتها مع الشرق الأقصى ، واهتمت بدراسة اللغة العربية والترجمة .

كما اهتم الاستشراق الألماني بدراسة الآداب العربية وترجمتها وكذلك انشاؤا المكتبات والمجلات والجمعيات ، ونقلوا إليها الكثير من المخطوطات وانتشر العديد من الرحالة الألمان في الوطن العربي والقارة الإفريقية ، ودرسوا اللغة العربية والقرآن والتاريخ ، وصنفوا العديد من الكتب وكانوا أكثر الأوروبيين ميلاً من الناحية العلمية ، أما الأندلس فكانت محط اهتمام الأوروبيين لما لها من جامعات وإرث زاخر بالمعارف والفنون ، فأخذ منها الأوروبيون وترجموها إلى اللاتينية ، وتأثروا بما شهدته الأندلس من نهضة فكرية ، وبعد التنصير طُردَ المسلمون منها بالقوى وتعرضوا للقسوة ومحاكم التفتيش ، فتحولت إلى دولة صليبية متعصبة ، وأسهمت بشكل بارز بملاحقة المسلمين

---

[19] نفس المرجع السابق ص ص 72 ، 74 ، 78 ، 86 ، 87 ، 89 ، 90 ، 91 .

والتبشير بالصليبية وتقاسمت النفوذ في المنطقة المغاربية مع دولة البرتغال ، واهتم مستشرقوها بنقل التراث العربي إلى اللغات الأوروبية ، وركز الاستشراق الهولندي على الدراسات اللاهوتية اليهودية ، وأوضاع المسلمين في الشرق الأقصى المصاحب لنشاطها التجاري ومستعمراتها ، أما الاستشراق الفرنسي فقد اهتم بدراسة اللغة العربية مثل (بو ستيل) الذي ألف كتاب في قواعد اللغة العربية وتدريسها وله العديد من الكتب الأخرى في الشريعة ووصف المدن ، كما ألف مستشرق آخر هو (ايربلو) كتاب عن المكتبة الشرقية ، وهو دائرة معارف عن تاريخ وآداب ونظم وأديان الشرق ، كما اهتم المستشرقون الفرنسيون بجمع المخطوطات العربية والفارسية والتركية ، وكتبوا عن الشريعة الإسلامية والمذاهب ، وكان من أبرزهم " البارون دي ساسي " صاحب المجلة الأسيوية ، ورئيس جمعيتها ، وألف في النحو العربي ، وحقق مقامات الحريري والعديد من كتب الآثار والأدب ، كما اهتموا بفكر " ابن خلدون " وصنفوا الآداب العربية ، كما درسوا حضارة المسلمين في الأندلس باستفاضة ، ونقلوا إلى الفكر الأوروبي العديد من نفائس التراث العربي مثل (رينان ــ البارون دي سلان) ودرُج على نهجهم الكثيرون ، ومنذ النصف الأول من القرن العشرين اهتم المستشرقون الفرنسيون بالمنطقة المغاربية ، وبدراسة لهجاتها المحلية وكان من ابرز هؤلاء (وليام مارسيه) الذي عرف بإلمامه باللغة العربية ، وكذلك (كولان) الذي اهتم بدراسة الطب الشعبي في المنطقة المغاربية ، و (دافيد كوهين) الذي أعد دراسة عن اليهود في المغرب الأوسط ، واللهجات العامية في مناطق بلاد شنقيط ، كما درسوا اللهجات العامية في المشرق ، وكانت الغاية من هذا الاهتمام وهذه الدراسات هو القضاء على اللغة العربية وجعل العرب يرجعون إلى لهجاتهم القديمة ، وهو تنفيذاً لمشروع يهدف للتفرقة بين العرب ، والقضاء على وحدتهم اللغوية ، وإدخال اللغات الأوروبية محلها ، وسخرت هذه الدراسات لتحقيق أغراض سياسية ، وأخلط المستشرقون الفرنسيون في دراستهم بين الفقه والشريعة والمعارف والآداب ، وفي مجال التاريخ انصبت دراستهم على

المنطقة المغاربية ، والتي مهدوا للغزو الفرنسي ، مثل (أندريه جولان) وكتابة تاريخ شمال أفريقيا ، الذي ركز فيه على المنطقة قبل الفتح الإسلامي ، وكذلك كتب (روجيه لاتورنو) عن تاريخ المنطقة ، واهتم (ليفي برونسال) بتاريخ المنطقة المغاربية وعلاقتها بتاريخ إسبانيا ، و درسوا التاريخ الإسلامي في بلاد فارس وتركيا.[20] كما اهتموا بدراسة الآثار الفرعونية ومؤلفات التاريخ الإسلامي .

كما اهتموا بدراسة الشام وشبة الجزيرة العربية ، أما الاستشراق في الولايات المتحدة الأمريكية فقد اهتم بدراسة التراث العربي من أجل فهمهم اللغة العبرية ، وكونت لهذا الغرض مدارس متخصصة في المشرق العربي في مدينة بيروت ، وكانت ذات دوافع دينية ، واستطاعت تكوين جيل من الكتّاب موالين لها وفي خدمة أهدافها ، وكونت مدارس جمعيات متخصصة لدراسة المجتمعات ومعرفة إمكانياتها للحفاظ على مصالحها وتجارتها ، ولتحقيق ذلك أرسلت الجمعيات التبشيرية التي قامت بترجمة التوراة إلى العربية ، وذلك بالترويج لمخططاتها لتحقيق أهدافها وتركيز نشاطها على الأهداف السياسية والاقتصادية.[21]

وازدادت حركة الاستشراق انطلاقاً من المنطقة المغاربية منذ القرن التاسع عشر ، مستغلة في ذلك ضعف الدولة العثمانية وعدم إنسجامها مع سكان المنطقة المغاربية وركزت على دواخل القارة الأفريقية في هذه الفترة على عمليات الاستكشاف والاعتماد على الرحالة والجواسيس المبشرين لمعرفة إمكانيات المنطقة وخاماتها ومواردها وطبيعة السكان مستغلين في ذلك ضعف الإدارات والنظم السياسية في المنطقة المغاربية ، ولعب القناصل أدواراً هامة في تمكين الرحالة والمستكشفين من تحقيق غاياتهم ، وذلك بتوفير كافة التسهيلات والتدخل لدى الحكام لمساعدتهم ، ووصل العديد منهم إلى مدينة طرابلس وجعلوها محطة إنطلاقهم نحو الواحات والمناطق الداخلية لدراسة

---

[20] ساسي سالم الحاج ، نفس المرجع السابق ص 109 ،111 ،118 ،119 ، 122 ، 125 ، 128 ، 129 ، 131 ، 132.

[21] نفس المرجع السابق ، ص 137 - 138.

أوضاع المنطقة ومعرفة طرق القوافل المؤدية وسط القارة الأفريقية ، وكانت قد سبقتهم العديد من الرحلات التبشيرية التي اعتبرها الأوروبيون غير كافية ، لاقتصارها على بعض المناطق الساحلية والداخلية ، وقد ركزت هذه الموجة الاستشراقية بشكل شامل على المنطقة المغاربية خلال هذا القرن ودرست أوضاعها وتاريخها وعاداتها وتقاليدها ومعرفة جغرافيتها وثرواتها ، وكان بينهم الفرنسي (بارون) ، وقد تولت العديد من الجمعيات العلمية عمليات التمويل والرعاية ،

والاستفادة من تقاريرهم مثل الجمعية الإنجليزية التي أرسلت العديد من المستكشفين وركزت نشاطها على مدينة طرابلس ، مستغلة علاقتها بالباشا القرمانلي في تسهيل مهمة رحلتها ، للتوغل في داخل القارة الإفريقية ، واعتمدت في هذه المهمة على عناصر تملك الخبرة والدراية في هذا المجال مثل (وليام لوكاس) الذي جمع معلومات هامة عن إقليم فزان ودخل المنطقة بحُجة البحث عن الأعشاب الطبية ولحقه بعد فترة (فدريك هورنمان) ، والذي عن طريق القاهرة سافر إلى الواحات حتى وصل إلى مرزق ومنها عاد إلى طرابلس ، بعد أن جمع معلومات هامة وأرسلها إلى الجمعية العلمية ، ثم عاد إلى بورنو ثم النيجر ، كما جمع الطبيب الإيطالي (اقسطيتو شرقللي) المرافق للحملة القرمانلية على برقة لجمع معلومات هامة عن الساحل ، التي استفاد منها القنصل الفرنسي ، وتكررت الرحلات البحرية بعد ذلك لجمع المعلومات من المنطقة الساحلية بتشجيع من القناصل الأوروبية ، وإرسالها إلى جامعة (جينوا) وكذلك رحلة (وليام سميث) الإنجليزي إلى منطقة الدواخل وقيامه بالقياسات البحرية وغيرهم من الرحالة الإنجليز الذين استغلوا منع تجارة الرقيق ، للتغلغل في المنطقة المغاربية والقارة لاستكشاف الطرق والطبيعة الجغرافية تحت إشراف القناصل الإنجليز ودرسوا الأوضاع الاقتصادية ، وكان الرحالة والمستكشفون يعتمدون على الإدلاء من التجار ويرافقون القوافل أو يتظاهرون من خلال لباسهم وتصرفاتهم بمظهر عربي

وإسلامي ، وكانت معظم هذه الرحلات تنطلق من المدن الساحلية المغاربية وتتجه نحو الواحات ، ووسط القارة .

وكانت تحركاتهم في المنطقة المغاربية تهدف إلى معرفة المنطقة وثرواتها وجغرافيتها ، لدراسة أوضاعها وإمكانياتها في عملية تجسس واسعة تحت غطاء البحث العلمي ، وتمهيداً للغزو والاحتلال .

وهذه الرحلات الكشفية التبشيرية تأتي ضمن مخطط الاستشراق لمحاربة العرب والقضاء على الإسلام ، وذلك بمحو الذاكرة وإعادة صياغة فكرهم ، وإعادة تكوينهم حسب مخطط الاستشراق.[22] ، الهادف لإضعاف العرب وتشتيتهم ، وفرض التخلف والضعف عليهم منطلقين من دوافع صليبية حاقدة مجردة من النزعة الإنسانية ، تحركها الهيمنة والسيطرة والمصلحة تحت شعار الحداثة والتطوّر.[23]

وعملوا على عزل المنطقة المغاربية عن مؤثرات وتيارات المشرق العربي طيلة فترة طويلة من الزمن ، لشعورهم بأن الامتداد الفكري العربي يأتي من المشرق إلى المغرب خلال المراحل السابقة ، وكرسوا القطرية والتجزئة والتشرذم متجاهلين في ذلك وحدة اللغة ، والفكر والدين والعادات والتقاليد والتراث والامتداد الجغرافي .

ومن المعروف أنه بظهور الإسلام انتشرت في المنطقة المغاربية اللغة العربية والمساجد التي كانت أماكن للعبادة والعلم ، التي انتشر معها العلماء والفقهاء ، كما ظهرت مساجد خاصة للأعمال الخيرية ، وتأسست العديد من الممالك الإسلامية في هذه المنطقة ولم تظهر النزعة الأمازيغية في ظل الدولة الإسلامية ، وعاش سكان المنطقة المغاربية في العهد الإسلامي مترابطين برابطة الدين واللغة ، ولم تظهر التفرقة والنزاعات بين عرب ما قبل الإسلام وما بعده إلا في عهد الاحتلال الصليبي ، الذي روّجَ إلى مفهوم التفرقة بين

---

[22] أيتيليو موري ، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا منذ القرن التاسع عشر في الاحتلال الايطالي ، ت خليفة محمد التليسي ، ط الثانية ، المنشأة العامة للنشر ، طرابلس ، 1984 ، ص (7 - 18) .

[23] المرجع السابق ، ص 19 ، 20.

السكان من خلال تحريض السكان القدماء على رفضهم للغة العربية وربطهم بفكر الاحتلال ، ونشروا بينهم مفهوم أنّ اللغة العربية لغة دين وليست لغة فكر وتقدم ، ولذلك طالبوا السكان بالعودة إلى اللهجات المحلية والاعتماد على لغة المحتل للنهوض والتطوّر وكانوا يهدفون من وراء ذلك للقضاء على الانتماء العربي ، وإفراغ المنطقة من الشعور القومي ، باعتبار المنطقة المغاربية جزء من دولة الاحتلال ، وتتمثل هذه السياسة في إضعاف الفكر واللغة العربية من خلال المدارس والتعليم الأجنبي ، لاسيما في منطقتي المغرب الأوسط والأقصى غير أن ردّة الفعل إتجاه هذه السياسة قد اتضحت في مواجهة أساليب الاحتلال وذلك يكمن في انتشار التعليم الشعبي في الزوايا والمساجد.[24]

ولكن الأسلوب الأخطر الذي وجه إلى المنطقة المغاربية هو فرض لغة المحتل وما تبعه من أساليب فكرية ، مستمدة من مناهج الاستشراق كانت أكثر خطورة من الحرب المباشرة ، ويتمثل ذلك في النشاطات الإعلامية والخيالة ورسوم الأطفال ، والمواد الدعائية ، والمطبوعات المختلفة والنظم التعليمية والإدارية ، والقيود البحثية والعلمية ، لجعل الأمة العربية عاجزة وصامتة أمام التطورات والتغيرات وغير قادرة على فهم واقعها وعاجزة عن معالجة السلبيات ، وفي هذا الشأن يؤكد الباحثون التاريخيون أن الأمم التي لا تعي تاريخها لا تستطيع أن تعرف مستقبلها.[25]

وقياساً على ذلك يلاحظ ضعف قدرتها الفكرية وعدم فهمها للتاريخ الذي كان من ابرز الميادين المستهدفة صليبياً ضمن حلقات الصراع الحضاري ، وهذا يعطينا مؤشراً على أن الإنسان العربي لا يكتسب العبرة من تاريخه ، فالتاريخ يبين لنا مدي التشويه والتحريف والمغالطات والخرافات التي أدخلها المستشرقون الصليبيون ، ومع ذلك لا يعمل على إصلاحه وتنقيته ، مع العلم بأن الحركة التاريخية مرتبطة بالفكر والقدرة العقلية عبر مسيرة الزمن ، فان ذلك يتطلب مستوي من النضال الفكري الذي ينبه النفس ويوجهها إلى كيفية

---

(24) نفس المرجع السابق ، ص 22 ، 23.

(25) سمير عبده ، صناعة تزييف التاريخ ، دار الكتاب العربي ، دمشق 1989م ص 12 .

الاستفادة من الماضي ، لاسيما وان هذا العصر أكثر نزوعاً للفكر ، وفي هذا الصدد يكون فهم التاريخ حيزاً مهما في قضية الوعي الفكري ، وان ما كُتب عن تاريخنا لا يعتبر كافياً ويحتاج للكثير من المعالجات ، حتى يتوافق مع فعاليات الحراك البشري والتفاعلات الإنسانية في الوطن العربي ، عبر مسيرته الزمنية كما يلاحظ عليه نقص الموضوعية وتجاهله للحجم الأكبر من الحركة الاجتماعية.

الفصل الثالث

مؤثرات الاستشراق في استخدام المصطلح في بنية التاريخ العربي

تحديد مفهوم مصطلح الثقافة

ما المقصود بالمصطلح ؟ ولماذا استخدم في الإشكاليات المنهجية ؟

وما الآثار التي ترتبت على ذلك؟

يُعرف الاصطلاح : بالإتفاق على تحديد مدلول الكلمة

تأتي إشكالية المصطلح في تاريخ العرب الحديث ، من بين أبرز الإشكاليات التي وضعها الاستشراق الصليبي في بنية التاريخ العربي الحديث لإضعافه وجعله متناقضاً فيما يتعلق بتطابق اللفظ مع المدلول أو النص مع المحتوى ، وهي حلقة من حلقات التشويه للفكر العربي حتى لا يكون دعامة من الدعائم المعنوية ويصبح مثاراً للشك وانعدام المصداقية ، ولذلك دست في الفكر التاريخي العديد من الاصطلاحات الخاطئة التي توحي بالتخلف والتفكك ، وكذلك الخلط بين المفاهيم السياسية و التاريخية والجغرافية ، والفصل بين الحضارات العربية.

وفي هذا الفصل سنتناول عدداً من هذه المصطلحات في الفكر التاريخي التي لاينطبق لفظها مع المدلول مما جعل النسيج الفكري ،في حالة ضعف وانعدام العلاقة المنطقية بين المصطلح والفكر.

مصطلح الثقافة : تعرف قواميس اللغة الثقافة على إنها الحذق والمهارة أي : الإحاطة بالعلوم والفنون والآداب وشؤون الحياة والناس.[1]

هل الثقافة نظرية سلوكية أم نظرية معرفية ؟ وما الفرق بين الحضارة والثقافة ؟

الثقافة والحضارة مصطلحان حديثان في الفكر العربي ويرد في المعاجم اللغوية مصطلح الحضارة : بمعنى التحضر والإقامة في المدن بينما تعني الثقافة المهارة والحذاقة والفطنة والذكاء وتعني أيضا : التهذيب واستقامة المعوج والإبداع في المعارف والعلوم ولم يستعمل مفهوم الحضارة في الرقي العلمي والفني والأدبي

[1] جبران مسعود، الرائد، دار العلم للملايين، سنة 1964، ص485.

والاجتماعي بمعنى الإنتاج الفكري والمادي إلا حديثا واستعمل لفظ المدنية بمعنى الحضارة ومنها جاء لفظ الإنسان مدني بالطبع بمعنى الاجتماع أو التحضر ويضع بعض الباحثين حداً فاصلا بين الثقافة والحضارة بحيث الأولى تعني الجانب المعنوي والثانية الجانب المادي غير أن هناك من يخلط بين المعنيين [2] ، غير أن المفهوم الشائع لمصطلح الثقافة يخص بالدراسات النظرية والعقلية بينما الحضارة يقصد بها الوسائل المادية والابتكارات والاختراعات ونظم الحياة ومن الصعب وضع خط فاصل بين الحضارة والثقافة فهما مفهومان متلازمان مرتبطان ببعضهما البعض فالحضارة أعم وأشمل لكنها لا تقوم إلا بالعقل الثقافي، وتطلق الثقافة على قدرة العقل وما ينتج منه أما الحضارة فتطلق على التقدم العقلي والمادي معا وينقل عن ابن خلدون تحديده لمفهوم الثقافة بالوصول إلى قمة التطور العمراني بينما الحضارة تعني الرقي الاجتماعي ويوصف البعض الثقافة بأنها مجموعة الأنماط الفكرية والمعيشية التي تقوم عليها الحياة .فمصطلح الثقافة لفظ استعمل في الفكر العربي الحديث مأخوذ عن اللغات الأجنبية وهي من مصطلحات عصر النهضة ، وتعني في اللغات الأوروبية الزراعة ، و تبلورت وتطورت حتى أصبحت تعني المعارف والمهارات ،فتعددت المناهج والطرائق في تحديد مفهوم الثقافة .

فالمدرسة الغربية اعتبرتها ثمرة وخلاصة للفكر الإنساني أما المدرسة الكلاسيكية تراها ثمرة المجتمعات .[3] وعرف مصطلح الثقافة في اللغة العربية على أنه ما يكتسبه الإنسان من معرفة وخبرة وهي تختلف وتتفاوت من مجتمع لآخر حسب نموه أو تخلفه ، ويمكن تعريف الحضارة من هذه المفاهيم على أنها جمله المعارف المعنوية والمادية التي توفر الضمانات الاجتماعية للمجتمع ، وهكذا يتضح

---

[2] نفس المرجع السابق ص 486

[3] محمد عبد السلام الجنادي ،مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي ، الدار العربية لكتاب ، 1984ص ص 91 ، 93 ، 94 ، 97 ، 100 ، 102 ، 103 ، 110 ، 113 ، 115 ، 118 ، 119 ، 121

مصطلح الثقافة غير محدد بدقة تتداخل فيه مختلف المعارف والوعي والمظاهر الحياتية في الفكر والتقاليد والنظم الاجتماعية ، ويلاحظ أن مصطلح الثقافة يستخدم في التعبير عن أي نشاط أو مستوى معرفي وهو بذلك مصطلح مطاطي يستخدمه كل مشتغل في الأمور المعرفية والقضايا الفكرية والاجتماعية والحرفية بصرف النظر عن قوتها وضعفها ، ومن هذه الناحية في اعتقادي استخدام هذا المصطلح يكوّن إشكالية فكرية في أدبياتنا الحديثة لتضارب المعاني وتداخل المفاهيم وبهذا لا يوجد معياراً يحدّد حدود التعلم ومستوى الوعي ودرجة التعليم والمستوى الفكري ونعتقد أنه من المفيد أن نضع علامات بين هذه المراتب المعرفية على شكل سلم تصاعدي بحيث يكون الوعي ثم التعلم ثم الفكر وفي أعلى السلم يجب أن تكون الثقافة وبذلك يكون هذا المصطلح هو الدرجة الأرقى بمعنى المرحلة الإبداعية في المستوى الفكري باعتبار الثقافة مفهوم كلي بينما الفكر جزء منها، وهذه المفاهيم في الوضع العربي تعكس مدى الارتباط بالوضع العام الاقتصادي والسياسي والنظم الاجتماعية، وبتطبيق هذا المصطلح على الواقع المعرفي العربي يتضح عدم تحديد مفهوم الثقافة بالمعنى الإبداعي، نتيجة لمؤثرات التقليد وكل ما هناك مستويات من الوعي أو الإتباعي التقليدي تتضح من خلال تداخل المفاهيم وعدم وضوح المقاصد ، فكثيرا ما نجد مفهوم الثقافة يقصد به الوعي أو مستوى فكرى معين أو ظاهرة اجتماعية [4] وكثيراً ما نسمع إطلاق صفة المثقفين على بعض الناس وهو نوع من التعبير المجازي الذي لا ينطبق لفظه على الواقع. ويلاحظ أن مصطلح الثقافة من بين المصطلحات المنتشرة في مختلف جوانب الفكر بشكل غير منظم تختلط فيه المفاهيم والمستويات المعرفية، والأفكار مما يشكل خللاً منهجياً في البنية الفكرية التي تعاني من العديد من الإشكاليات نتيجة للتقليد والتكرار والتعامل الفطري مع المعرفة التي تكرر الألفاظ والنصوص دون معرفة

---

[4] محمد عبد السلام الجفاتري – نفس المرجع السابق 118 ،119 ، 121

محمد عابد الجابري – إشكالية الفكر العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،1989ص 68 ، 72

معاني حدودها ومطابقتها، وهذا يكشف بوضوح مستوى الضعف الفكـري في بنيـة التاريخ العربي الحديث .

المصطلحات المستخدمة في التاريخ العربي .

الســـــاميـــة

بمجرد استخدام لفظ اليهودية يتبادر إلى الذهن الخلط والخرافة في المفاهيم الفكرية والتي يقصد بها تضليل العقل الإنساني ومصطلح السامية من بين هذه الخرافات التي صاغها اليهود في فكرهم بقصد إعطاء أنفسهم دور حضاري في مقدمة الأمم الحضارية وجعل هذه المغالطات بديهيات مستندة على الدين تدخل في الفكر الإنساني ولا تقبل الرفض أو التفكير فيها وعمل الاستشراق بجدية على إثباتها علماً بأن لفظ السامية لم يثبت لها أصل عرقي ولا جنس ، ولا تعرف أي جماعة بشرية بهذا الإسم غير أن اليهود والمستشرقين استخدموها ليجعلوها بدل كلمة شرقي أو عربي وذلك ليكون اليهود على رأس أو في مقدمة المجتمع الشرقي ، وينسبوا لهذا الاسم مجموعات من اللغات عرفوها باللغات السامية. وتظهر خطورة ذلك بتأثر العديد من المستشرقين بخرافات الأساطير اليهودية، والخلط بين هذه الخرافات ولفظ السامية، باعتبار أن اليهود هم الجنس السامي ولتأكيد ذلك كوّن اليهود حركات عنصرية سياسية روجت لمغالطاتهم بالتركيز عليها ونقلها إلى مختلف اللغات في موجات تجاوزت مفاهيم الفرع والجنس ، لتكون مظلة ذهنية لتسيطر على الأخلاق والفهم الإنساني لتحقيق أهداف سياسية وعنصرية.[5] ولذلك صنفوا البشر حسب ألوانهم (أبيض – أسود – أصفر) ، وربطوا التفوق للون الأبيض وجعلوا اليهود في المقدمة.[6] وفي إطار الاهتمام بدراسة الخرافات

---

[5] شفيق مقار – قراءة سياسية للتوراة –رياض الريس للكتب ص ص – 17 – 19

[6] نفس المرجع السابق ص 28

اللاهوتية ، اهتم المستشرقون في وقت مبكر بدراسات الفكر الشرقي ومن جملة اهتماماتهم دراسة لغات هذا الفكر ومن بينها العربية والعبرية ، كما درسوا الأديان بميل واضح لليهودية وموقف صليبي من الإسلام وبدافع محاربة الدين الإسلامي واستخدام كل السبل التي تمكن من ذلك بما فيها الاعتماد على الخرافات اليهودية، ولتحقيق ذلك حشدت الإمكانيات المادية والبشرية وكلف رجال الدين والقساوسة بإعادة صياغة الفكر العربي، وترجمة القرآن ودراسة اللغة العربية للوقوف على خصوصيتها وتشويهها، خدمة للفكر الصليبي وتنبهوا إلى أهمية اللغة العربية لما بها من غنى بالمفردات وجمل مفيدة ليتأتى لهم فهم الألفاظ والتعابير التوراتية واعتبر المستشرقون أن اللغة العربية وسيلة مهمة لتحقيق أهداف لاهوتية وأهداف تبشيرية للمسيحية،[7] منطلقين من معتقد أن اللغة العبرية هي اللغة المقدسة وأساس اللغات الشرقية. ولذلك أهتم علماء اللاهوت من المستشرقين بالترويج للخرافات اليهودية مثل (سكلوزر) اللاهوتي النمساوي الذي كان من الأوائل الذين استخدموا تعبير السامية للدلالة في التأكيد على خرافة تفوق العنصر اليهودي في الشرق وسار على نهجه العديد من المستشرقين الذين نشروا العديد من المؤلفات والدراسات مثل دراسة اللغة العربية التي كتبت بها الدراسات التي قام بها المستشرقون (البنيوس فان) و (اندريه ديوريل) التي اعتمدت على استخدام مصطلح السامية.[8]

لقد أثرت هذه المفاهيم التوراتية في كتابه تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده فصورت العرب قبل الإسلام بدواً رحلاً متخلفين متصارعين ، وانطلقوا بدافع الجوع والفقر من شبة الجزيرة العربية إلى المناطق الخصبة فاكتسحوا المجتمعات الحضارية التي لا تتفق معهم في الجنس وقصد من وراء ذلك تشويه تاريخ العرب في مختلف مراحله ، وجعلت هذا التصوير التراثي بمثابة مرجعية تاريخية في تاريخ ، العرب لتهيمن على أفكار الباحثين في هذا التاريخ باعتمادهم على هذه النظرية وخرافات الأخبار بين اليهود ، واستنادا إلى ذلك صنف المؤرخون

---

[7] توفيق سليمان – نقد النظرية السامية ، دار دمشق سوريا ، 1982، ص 37 ، 39 ، 40

[8] نفس المرجع ص 7

الغربيون المنطقة العربية تصنيفا عرقيا وإقليميا وأخذت بمبدأ الأنساب والسلالات مما كان له بالغ الأثر في تحريك الصراعات والتناحر بين القبائل ، والذي أمتد حتى في النواحي السياسية ولتأكيد أثبات النظرية السامية أخذ أنصارها بالاعتماد على التجانس اللغوي والحضاري [9] ، وسعوا من وراء ذلك لإثبات أصولهم وارتباطهم بأرض المشرق العربي منذ بداية الخليقة، وذلك بالاعتماد على الخرافات التي نسجوها عن تسلسل ما يسمى بالجنس اليهودي وإدعائهم بأن الوعد الرباني قد وعدهم بهذه الأرض (أرض كنعان).[10] ، وهكذا يتضح أن مصطلح السامية مصطلح عنصري قائم على أسس خرافية لإبراز عنصر يهودي في مقدمة المجتمعات الحضارية في منطقة المشرق العربي باعتباره جنس حضاري له تراث وتاريخ. إن كتاب هذه الخرافات كانوا يشعرون بالضياع والتشتت وانعدام الأسس التاريخية مما جعلهم ينسجون الخرافات والأساطير ، ويسرقون التراث الحضاري لمنطقة مابين النهرين والهلال الخصيب ووادي النيل وقصص الأنبياء في القرآن وينسبوها إلى أنفسهم، وروجوا لمقولة مفادها أن اللغة مصدرها سامي متفرعة منها مجموعة اللغات الشرقية وبذلك أطلقوا تعبير اللغات السامية وهي خرافة لا تستند على دليل منطقي.[11] ، ويلاحظ تعدد الأسفار اليهودية وتناقضاتها في العديد من المسائل الفكرية مما يدل على أنها من صنع الخيال الخرافي الذي لا يعتمد على دليل مادي، مما جعلهم يعطون الخرافات سنداً دينياً لكي لا يسمح بالجدال فيه، غير أن المدقق في هذه الإسفار يلاحظ بعدها عن القيم الدينية الإلهية، واعتمادها على سرد الروايات التاريخية المتناقضة، والتي لا تعتمد على أدلة وحقائق دينية كما أن اليهودية في حد ذاتها مغالطة وخرافة لابتداع كيان خيالي قائم على بدعة عنصرية ملفقة في مظهر ديني، وذلك بإسناد خرافاتهم إلى الرب لإعطاء أنفسهم الحجج الدينية والشرعية، من حيث الجنس والوطن بما أنسبوه

---

[9] توفيق سليمان نفس المرجع السابق ص 10 ، 11

[10] نفس المرجع السابق ص 114- 115 .

[11] نفس المرجع السابق ص 117-118-120.

لأنفسهم من تراث وتسلسل عرقي، ومباركة ربانية ووعد بالثروات والوطن تحقيراً لغيرهم من الأمم ، غير أن ذلك كله لا أساس له ولا دليل.

الفينيقيون :

من المصطلحات الخاطئة التي دست في الفكر التاريخي والتي تعبر عن موقف معادي لكل ما هو عربي بقصد التشويه وإبراز الجوانب السلبية والتركيز عليها بتجاهل إيجابيات التراث العربي ، مما يحتم علينا إعادة النظر بالتعامل مع الفكر التاريخي لمعرفة تراثنا وهويتنا والتخلص من الخزعبلات والخرافات المغرضة التي ألصقت بالفكر التاريخي، فكلمة فينيقي أطلقها الإغريق على الكنعانيين الذين نافسوهم في البحر وفي النشاط التجاري فأطلقوا عليهم كلمة (فينيكس) وهي تعني باليوناني الطائر الأسود أو الملونين والسمر وقد أشتهر الكنعانيون بصناعة الأصباغ الملونة والأرجوانية وبذلك أطلق عليهم هـذه التسمية بمعنى الصباغين أو الملونين، ومن المعروف أنهم عرب قدموا إلى الساحل الشامي من الخليج وجنوب الجزيرة العربية ، ومكثوا فيها منذ الألف الثالثة قبل الميلاد واشتهروا بالتجارة والنشاط البحري ، وهم من المجتمعات القبلية العربية لكنهم في مناطق الشام عرفوا بالاستقرار ، وتأسيس المستوطنات والمرافي البحرية، ومما يؤكد عروبتهم تراكيب وقواعد لغتهم التي تتفق مع اللهجات العربية القديمة ، ويذكر الباحثون أنها مشتقه من المسمارية الأكادية منذ ألفين وستمائة (ق ،م) عندما استوطنوا منطقة الفرات وذكرتهم المصادر باسم (كناهو) ثم ذكرتهم التوراة اليهودية باسم كنعان ومن المعروف أن اليهود بعد السبي البابلي سنة 650 ق . م من قبل نبوخذ نصر قضى على مجموعاتهم الرحل وعلى موروثهم الديني ومعابدهم ، ونقلت بقاياهم إلى الفرات فقاموا بسرقة التراث البابلي بعد أن تعلموا اللغة البابلية والكتابة المسمارية ونسبوا هذا التراث إلى أنفسهم[12] ، وكتبوا التلمود وهو مجرد أحكام وصفية كهنوتية مليئة بالخرافات والأساطير لإثبات كيانهم تحت

---

[12] محمود حسين الأمين الكنعانيون الفينيون ،الموسم الثقافي الأول مركز جهاد البنين طرابلس 1980 ، ص11 ،12 ، 13

ستار الدين ونسجوا القصص الخيالية التي تتناول وتصور عظمتهم وتجعل لهم تسلسل تاريخي يمتد من بداية الخليقة ، فصاغوا الخرافات عن بداية الخلق فجعلوا أنفسهم من أولاد سام بن نوح ليجعلوا لأنفسهم ماضي وتاريخ وصوروا الكنعانين على أنهم من المجتمعات الهمجية غير المتحضرة وبسبب الضغوط والهجرات السكانية التي تعرض لها الساحل الشامي ، انتقل الكنعانيون إلى المنطقة المغاربية وأسسوا فيها عدد كبير من المستوطنات التي انتشرت على طول الساحل المغاربي، واهتموا بالمحطات والمرافي البحرية والمراكز التجارية منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وأمتد نشاطهم من الساحل المغاربي إلى الساحل الإسباني ، ونظر الأغريق إلى نشاطهم التجاري في البحر المتوسط بمنظار الريبة والحقد باعتبارهم منافسين لهم لاسيما بعد أن احتكوا بهم في حروب طاحنة في جزيرة صقلية وجزر البحر المتوسط التي كونوا فيها عدد من المستوطنات و المرافي البحرية ، ولذلك أخذوا ينعتونهم بصفة اللون الأرجواني (الفنيكس) وبذلك تجاهلوا تسميتهم كنوع من التحقير والحط من شأنهم وفي مرحلة الصراع مع الرومان أطلق على الكنعانيين تسمية البونيق وهي لفظة مأخوذ عن الكلمة الإغريقية الفنيكس [13] ، ويلاحظ أن تناول المصادر الأوروبية لتاريخ الكنعانيين يتركز على الجوانب السلبية وتفخيمها وتجاهل دورهم الحضاري الفعال ويصور تاريخهم على أنه صراع طبقي مصلحي نفعي ، ولا تذكر هذه المصادر حضارة الكنعانيين إلا بما يخدم عنصر التفوق الأوروبي منطلقين من عقدة التعالي التي تنظر إلى غير المجتمعات الأوروبية بمنظار النقص وعدم القدرة على صناعة الحضارة.

هذه النظرة غير الموضوعية المحكومة بدافع الحقد والكراهية تفرض علينا إعادة البحث والدراسة في الفكر التراثي والتاريخي ، لتخليصه من هذه الخزعبلات.

---

[13] محمود حسين الامين . نفس المرجع السابق ص13 ، 14 ، 15

مصطلح العصر الجاهلي

يطلق هذا المصطلح على تاريخ العرب ما قبل الإسلام بأعتبارهم بدو جهلة متخلفين عن الحضارة الإنسانية ، وعاشوا في وضع متخلف ومعزولون عن العالم، ونظر إليهم على أنهم أميون وثنيون ليس لهم تاريخ مشرف ، وهذا الاصطلاح يأتي ضمن الحملة الاستشراقية على العرب والإسلام ؛ لتشويه العرب وقطعهم عن جذورهم وعزلهم عن المؤثرات الحضارية التي نسبت إلى أمم غير عربية ، وألصق هذا المصطلح للمسلمين باعتبارهم يرفضون سلوك المجتمع السابق للإسلام ، وروجوا لتأكيد ذلك بأن المسلمين هم الذين استخدموا هذا المصطلح رفضا للمجتمع القديم الذي خالفته قيم الإسلام، وحتى لو إفترضنا جدلاً أن هـذه الصفات التي أطلقت على العرب ما قبل الإسلام كانت صحيحة فأن هـذه الظاهرة لم تكن خاصة للعرب وحدهم بل كانت ظاهرة عامة في المجتمعات الوثنية غير أن ذلك لم يمنع من التحضر والحضارة ولكن أطلقت هذه الصفة على العرب دون غيرهم وهذا مما يثير الاستغراب ويوحي بأن هناك نية مبيته لتوجيه حرب فكرية تجاه العرب تزعمها المستشرقون الصليبيون باستخدام الفكر والوسائل اللاهوتية من منطلق تعصبي عنصري ينطلق من مركب النقص والعجز الحضاري ، واستخدموا في تشويهم للعرب قبل الإسلام نصوص قرآنية ورد فيها ذكر الجاهلية والتي كانت تعالج مظاهر التعصب والكفر بالله ومخالفة أحكام القرآن، وهي ليست موجهة للعرب خاصة لأن الإسلام رسالة عالمية موجهة لكل الناس ويمعن المستشرقون لتأكيد الصفات الذميمة وإلصاقها بالعرب ويذكر في هذا الشأن السفاهة والحماقة والغضب وهي صفات أساسية في العرب ولكنها هي صفات بشرية لا ترتبط بقومية معينـــة كما ذكروا أحاديث وأشعـــار في هـــذا المعنى[14] ، وبالرجوع للغة العربية يتضح أن مصطلح الجهل يعني نقيض للعلم والمعرفة.

---

[14] جواد علي ، المفصل في التاريخ العرب قبل الاسلام ، ج الاول ، دار العلم للملايين بيروت 1976 ص . 37 .. 40

وهذا يتناقض مع حياة العرب وحيويتهم ومساهمتهم الحضارية قبل الإسلام في ذلك الوقت مما يوضح أن استخدام هذا اللفظ حلقة من حلقات الحرب الفكرية التي يتعرض لها العرب في تاريخهم الحديث ولكن القرآن والأحاديث التي استند إليها في لصق هذه الصفة بهم لم تكن خاصة بالعرب ولكنها كانت موجهة إلى المظاهر والتصرفات التي لا يقرها الإسلام، والخطاب الإسلامي رسالة موجهة إلى كل البشر ولا يوجد فيها ما يخص العرب حتى وأن كانت هذه الدعوة قد نزلت على العرب ، وتحول ذلك في العديد من الكتابات إلى موضوع جدلي في تفسير هذا اللفظ وما المقصود بمعناه وتحديد زمنه وإن ركزوا في كثير منه بإلصاقه بالمجتمع العربي دون غيره ، ولم ينعتوا بها النصارى حتى من العرب ، وأشيع هذا اللفظ بين الكتاب المسلمين الذين أخذوها من الأساطير والخرافات ووجودها مناسبة لمحاربة قيم المجتمع العربي السابق للإسلام التي لا تتفق مع ما يدعوا إليه من نظم وقيم .

إن الذين أرخوا في هذه الفترة اعتمدوا في معلوماتهم على الخرافات والأساطير اللاهوتية وقصص الاختبارين بدون غربلة أو تمحيص ؛ لتخليصها من الأفكار الموضوعة التي وضعها أصحاب الخرافات التي تداولت بين الناس وعندما جاء المستشرقون أعادوا دراسة التاريخ العربي وتراثه ، وتناولوه بالنقد ولكنهم فسروه بما يناسب أهواءهم وغاياتهم متظاهرين بإتباعهم منهج البحث العلمي الحديث وبرغم دسائسهم ونواياهم المغرضة فإنهم فتحوا باب الدراسة والتقسيم لمرحلة تاريخية أهملت لفترة طويلة من الزمن[15] ، ولا يجب أن ننكر أن البحث عن مصادر هذا التاريخ ودراسته في حد ذاتها يعتبر عملاً مهماً وشاقاً لما تكبده المستشرقون من متاعب وجهد في البحث عن مصادر هذه الفترة ، وذلك من خلال الرحلات الاستكشافية والدراسات الشرقية وما وجهوه من مخاطر وما كلفتهم من نفقات وقيامهم بالبحث والتنقيب ومقارناتهم لمصادر ذلك الوقت غير أنهم انحازوا بشكل واضح للاهوتيات من أصحاح وإسفار اليهود التي كتبت في أزمان

---

[15] نفس المرجع السابق ص ص 41 ،42.

مختلفة وفي مواقع متعددة بقصد ربط اليهود بهذه الأماكن من خلال ما دوون فيها من خرافات لإثبات تاريخ لليهود في المنطقة ، وكذلك الكتب الكلاسيكية من اللاتينية والمسيحية واليونانية التي كتبت قبل الإسلام وما ورد فيها من معلومات عن العرب بشكل غير منظم وغير دقيق مأخوذة عن طريق الحملات والحروب والرحلات والتجارة ، وهي في الغالب جمعت للاستفادة منها في معرفة كيفية التعامل مع العرب ، وهي كثيرا ما تعتمد على الأساطير والتشابه في المظاهر الحياتية والمعيشية والارتباط بالمكان.[16]

إما المصادر الإسلامية فقد تناولت الفكر والأدب والأنتساب بالاعتماد على الرواية والإسناد ، ويوضح لنا ذلك المستوى الحضاري والمعرفي الذي كان عليه العرب قبل الإسلام مما يناقض نعتهم بالجهل أما عدم معرفتهم بالرسالات السماوية في ذلك الوقت لا ينفرد به العرب دون غيرهم[17] ، وكانت منهجية المستشرقين في كتابة تاريخ ما قبل الإسلام تعتمد على تقطيع مراحله ، وعزلها عن بعضها ، وذلك بفصل الحضارات القديمة عن تاريخ العرب لقطع المسار التاريخي ، ونسبوه لأقوام غير عربية واعتبروا أن ما يخص العرب هو الفترة السابقة للإسلام مباشرة التي لا تزيد عن قرنين ، وجعلوها بداية التاريخ العربي قبل الإسلام وأطلقوا عليها تسمية العصر الجاهلي معتمدين في ذلك على الشعر والروايات ، ويتجاهلون ما سبق هـذه الفترة من فكر وأدب كما ركزوا على روابط المجتمع العربي في هذا الزمن القائم بالدراجة الأولى على القبلية والنشاطات التجارية والزراعية والرعي، وعدم ظهور العرب في نظام سياسي ،موحد ولم يلتفتوا إلى ما أثبتته الاكتشافات الأثارية من دلائل[18] لمستوى التقدم الحضاري وهذا يوضح لنا أن المستشرقين لم يشخصوا الحياة الفكرية للعرب بشكل موضوعي ، بل اقتضوا بعض المظاهر

---

[16] نفس المرجع السابق 55 ، 57.

[17] نفس المرجع السابق ص 56 .

[18] حسين مروة ، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ج الاول ط السادسة دار الفارابي بيروت 1988 ص ص 177 ، 179

البدوية التي لا يخلوا منها مجتمع في ذلك الوقت وعمموها على العرب بشكل مبيت بقصد التشويه والنقيصة.

أيام العرب :

يقصد به إثبات صفه التنافر والصراع بين القبائل العربية ، وجعل ذلك تاريخا لعرب ما قبل الإسلام والهدف من ذلك إظهار المجتمع العربي بمظهر التفكك وسيطرة الأحقاد والثارات والتعصب ، وهي صفات تتوفر في المجتمعات المتخلفة التي لاتعرف إلا العناد والغرور وإلصاق هذه الصفات بالعرب ، وركز المستشرقون على أحداث جزئية وإعطائها صفة العمومية بقصد الدس والتشويه والحرب النفسية والمعنوية والتأثير على الإنسان العربي باعتبار تاريخه وتراثه صفحة سيئة ودموية قائمة على السلوك الهمجي البعيد عن الحضارة والتحضر، والسلوك الإنساني السوي والأحداث التي ركز على دراستها المستشرقون في مجملها لا تزيد عن المائة سنة من تاريخ العرب الطويل الذي يمتد إلى آلاف السنين ، بينما تجاهل الدور الحضاري للعرب وما أنتجوه من فكر ونظم أسهمت في خدمة الإنسانية والتي تمثلت في حضارات وادي الرافدين و حضارات وادي النيل ومن بين الأحداث التي عمموها على التاريخ العربي أبرازهم للصراعات القبلية مثل حرب البسوس وداحس والغبراء ويوم الفجار وهي أحداث لا تخلوا من مثيلاتها في المجتمعات القبلية الأخرى ، ولا يمكن أن تكون ظاهرة عامة في تاريخ أمة .

غير أن تركيز الاستشراق عليها وتعميمها على التاريخ العربي مبعثه دافع الحقد والتشويه للحط من قيمة الإنسان العربي ، وربطه بالصفات الذميمة[19] ويلاحظ أن هذا الموقف الاستشراقي يتوافق مع أتباع اليهودية الذين لفقوا الخرافات والأساطير بحملاتهم المعادية للعنصر العربي ومحاولة طمس تاريخه

[19] حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج الاول ، ط السابعة ، مكتبة النهضة المصرية سنة 1964 ص52 ، 57

بالتشويه وإلصاق المغالطات التي تظهر العرب في حالة من الصراع والتشرذم والهمجية ، وهي أنواع من الحرب المعنوية وإبعاد العرب عن درب الحضارة والإنسانية .

بعض المصطلحات الخاطئة في التاريخ العربي الحديث

الفتنه الكبرى

مصطلح أطلق على الخلاف السياسي والاجتماعي منذ بداية الخلافة

توفى الرسول صلى الله عليه وسلم فجأة ولم يعين خليفة على المسلمين وكانت مسائل اختيار خليفة أول مشكلة سياسية تواجههم ، وتزامنت مع حدث حروب الردة ، وبعد النزاع الذي حدث في سقيفة بني ساعده وإصرار الأنصار على اختيار سعد بن عباد للخلافة تم الإتفاق على أبي بكر الذي أنابه الرسول بالإمامة في مرضه ، ويعتقد البعض أن الرسول قصد ذلك ليترك الأمر للمسلمين فهو ليس شيخ أو زعيم قبيلة إلى جانب أن التقاليد القبلية لا تورث الزعامة ، وظهر نزاع بين المهاجرين والأنصار وتسبب في انفجار الصراع بينهما ، وبرز التشبث بالعصبية ، وتمسك كل طرف بأحقيته بمنصب الخلافة ، وطرحت فكرة اختيار خليفة من كل جانب لكن أبوبكر أقترح الخلافة من قريش والوزارة من الأنصار وتمسك الهاشميون بالخلافة ورفضوا خروجها من بينهم وطرحوا اسم على لهذا المنصب حتى بعد اختيار أبي بكر غير أن علياً لم يستجب لذلك[20] .

وأشتد الجدل ، وتمسك الأنصار بمنصب الخليفة مستندين على مناصرتهم للرسول أما قريش اعتبرت الخلافة حقا شرعيا لها لا يجب أن ينازعها عليها أحد [21] وتزامن مع ذلك ردة بعض القبائل لاسيما في اليمن والخليج العربي التي مازالت المؤثرات القبلية تسيطر على سلوكهم لحداثة عهدهم بالإسلام[22] ، وسيطر عليهم

---

[20] محمد عابد الجابري ــ العقل السياسي العربي ط الثالثة مركز دراسات الوحدة العربية 1992ص129 ، 131 ، 132

[21] حسين مروة المرجع السابق ص ص 390 ، 391

[22] على أحمد سعيد ، الثابت والمتحول في الإتباع والإبداع عند العرب ،ج 1، دار العودة بيروت ، 1983 ص ص 119 ، 120 / إبراهيم حسين ، تاريخ الإسلام

اعتقاد بأن الرسول لايجب أن يموت ، ولذلك أرتدوا عن الإسلام بعد وفاة الرسول فأدعى بعضهم النبوة، وغيرهم اعتدوا بالقبلية واعتبروا الخلافة شأن قبلي ، وبعد اختيار أبي بكر في منصب الخلافة واجه هذه الانقسامات بشدة وقوة وأعاد وحدة الإسلام ، وثبت أركان الدولة وواصل نشر الدين والفتوح ، وعلى الرغم من حسم هذا النزاع بتولي أبي بكر إلا أنه تطور إلى حركات فكرية وسياسية فيما بعد حول أحقية الخلافة فبعضهم يعتبر أن منصب الخلافة ديني أمامي لا شأن للناس به، بينما فريق أخر يرى أن الخلافة منصب رئاسي دنيوي ويجب أن يتم اختياره من بين المسلمين واعتبروه حقاً من حقوق الناس ، وتأثرت هذه الإتجاهات بمشاعر الطبقية والقبلية والتمايز الاجتماعي،[23] في حين كانت قريش تعتبر الخلافة إرادة لها ، والخروج على ذلك يعتبر مخالف للإسلام.[24] ، وبخلافة أبي بكر ومن بعده عمر تمت السيطرة على أمور الدولة، وثبتوا دعائمها وأرسوا العدل والنظام، وعندما تولى الخليفة الثالث عثمان بن عفان أظهر ميلاً للبيت الأموي باعتماده على أقاربه ، ونظراً لكبر سنه فإنه لم يستطيع السيطرة على أمور الدولة، مما أتاح الفرصة لأقرابه أن يتنفذوا ويستبدوا بكثير من أمور الدولة المالية والسياسية، مما تسبب في ظهور معارضة واسعة له ، لا سيما من أنصار علي بن أبي طالب الذين كان يحركهم شعور أن عثمان أخذ الخلافة من علي، وتعدي على (الحق الإلهي) وتكونت مجموعات من مختلف الأمصار وزحفت إلى مقر الخليفة، واشتكوا من تسلط عماله وطالبوا بترك الخلافة ، وعندما رفض عثمان ذلك انفجر غضبهم وقتلوه ، ونادوا بعلي لمنصب الخلافة ، وتمرد أنصار عثمان على خلافة علي وطالبوه بدم عثمان ، واتهموه بذلك واستغلـوا موقف عائشة من علي ومكانتها ، وطالبوها بحمل القميص وتحريض الناس عليه، وتقدمت صفوف خصومه راكبة على جمل ، وبعد موقعة الجمل التي انتصر فيها علي وطالب عائشة بالرجوع إلى بيتها ، حركت هذه الأحداث الصراع على منصب الخلافة وتزعم ذلك معاوية بن أبي سفيان الذي لم يعترف بخلافة علي ، وتقابل الطرفان

---

[23] حسين مروة ، نفس المرجع السابق، ص 392-393.
[24] علي احمد سعيد، نفس المرجع، ص122.

في موقعة صفين ، وبعد معارك طاحنة انقسمت فيها القبائل بين الجيشين عرض معاوية الاحتكام للقرآن ، ورفعوا المصاحف وقبل على التحكيم ، غير أن أنصار معاوية خدعوه ومكنوا معاوية من الخلافة فانشق أنصار على عنه ، وعرفوا بالخوارج ثم انقسم المسلمون إلى ثلاث إتجاهات الخوارج- وشيعة سيدنا على- والأمويين.[25] ، وصور المستشرقون بأن الخلافات بين العرب شمالاً وجنوباً، وبين الأمويين والهاشميين، ويستدل على ذلك بالردة وبتمرد الأسود العنسي في اليمن وفي الخلاف بين أهل الشام والعراق وانقسام القبائل حتى في الفتوح وموقفها من زعامة قريش.[26]كما شكك المستشرقون في الإسلام باعتباره قام بحد السيف ولم يكن بقناعة العرب وأستدلوا على ذلك بما جرت من أحداث بعد وفاة الرسول وأظهرت من عصبيات ونعرات[27] ، والتي استمرت في المجتمع الإسلامي، وانتقلت هذه النعرات حتى إلى المناطق المفتوحة ، لا سيما في المنطقة المغاربية التي انتقل إليها العديد من القبائل مع الفتوح واستوطنت فيها ، وظهرت خلافاتها القبلية في الإمارة والزعامات والصرعات لا سيما بعد أن استقرت الأوضاع في المنطقة المغاربية بعد الفتح الإسلامي ، وقد استغل المستشرقون هذه الأحداث في التسلسل للفكر الإسلامي، وتضخيم سلبياته ، بإبراز الحساسيات والنعرات القبلية، ووصفوها بالفتن الكبرى سعياً منهم للتقليل من أهمية الدولة الإسلامية ، وصوروا المجتمع العربي بأنه سريع الاستعداد للعودة إلى روابطه القبلية وصراعاته وخلافاته الثأرية التي لا تتوافق مع الإسلام ، وصنفوا السكان في ظل الدولة الإسلامية إلى عرب شمال وجنوب، وعرب قحطانية وعدنانية لإظهار عدم الانسجام والترابط بين العرب، وإثبات عدم تأثرهم بالقيم الإسلامية التي وحدت الأمة ، وتجاوزت كل الروابط القبلية والعادات القديمة التي انتهت بظهور الإسلام الذي كون بالعرب أمة قوية متماسكة استطاعت أن تلعب دوراً حضارياً وإنسانياً، وأن تهزم الإمبراطوريات الكبرى ، التي كانت ساندة في ذلك الوقت ، وأرست رسالة العدل والحرية والمساواة بين البشر، وساوت بين الناس، وناصرت الضعفاء

---

(25) حسين مروة، مرجع سابق ص ص- 395-442.
(26) محمد عابد الجابري، نفس المرجع السابق، ص-ص 143- 154.
(27) حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص-ص 345-347.

والمحرومين غير أن ذلك لم يرق لكثير من المستشرقين إبرازه ، والذين ركزوا على إظهار الجوانب السلبية من أجل النيل من قيمة العرب والمسلمين تحقيقاً لأهدافهم الصليبية الحاقدة والمضادة للعرب والمسلمين .

مصطلح الشعب

هي كلمة عبرانية مأخوذة من الفكر اليهودي، يقصد بها قبيلة كبيرة على لون واحد ودين واحد وأصل واحد ، وهي تعبير إداري خاص باليهود فلا يوجد في اللغة العربية أو القرآن أو النظام الإسلامي كلمة الشعب، وذكرت كلمة شعب مرة واحد في القرآن في سورة الحجرات الآية 13، وهي في خطاب موجه إلى الناس ، وليس إلى العرب والمسلمين فهي لا توجد ولم تستعمل في الموروث الفكري العربي ، ولم تعرف في الفكر العربي القديم وفيما يعرف بالثورة فهي تعبر عن مفاهيم اليهود لاشتراطها فيمن تطلق عليهم بالانتماء إلى رب واحد ، وأن يكون مختار وتجمعه أرض مقدسة واحده ، ويعتقد اليهود أن هذه الشروط تمثل هويتهم، وتسلل هذا المصطلح إلى الفكر السياسي والعقائدي ، وأصبح يطلق على المجموعات السكانية في الزمن الحديث والعرب لم يستخدموا هذه الكلمة لأنها لم تعبر عن مفهوم الأمة الذي استعمل في الإسلام فالأمة نظام جماعي يتخطى المفهوم القبلي ، ولا ينطبق عليها مصطلح الشعب فهي لاتشترط وحدة النسب ولا وحدة الأرض ولا مواطنين مختارين بل مجتمع مسؤول عن تصرفاته ، ونلاحظ أن الفكر السياسي العربي الحديث والمعاصر قد استخدم كلمة شعب بدل كلمة أمة وهو استبدال كلمة عربية أصلية بكلمة عبرية ، وهي استعارة من اللغة المستعملة عند اليهود وتفسير مصطلح الأمة يعني أن الملك لله وحده وكل البشر مسؤولون عن تصرفاتهم والدين لله ، والإسلام دعوة عالمية لكل الناس لاحتوائه كل العقائد والألوان والأنساب ، وعدم استخدام مصطلح الأمة في الفكر العربي يدل على غياب سلطة الجماعة ، وعدم احترام الشورى واستخدام كلمة الشعب حسب شروطها العقائدية تعني أن العرب تخلوا طائعين عن مفهوم الأمة ودخلوا في نفق

جبري فرض عليهم معتقدات وأفكار دخيلة ومغتربة عن فكرهم ، مما جعل السياسيين العرب والإعلاميين وغيرهم من المشتغلين بالفكر يتخبطون بين الصيغ الإدارية المستوردة سواء انه من التراث اليهودي أو الماركسية أو الرأسمالية القائمة على الأحزاب ، واختلطت المفاهيم السياسية والإعلامية والفكرية في الترويج لهذه المصطلحات التي انساقوا معها مجبرين بفرضيات الساحة الفكرية العربية التي وقعت تحت هيمنة الفكر الدخيل الذي جعلها أسيرة المفاهيم ونظم سياسية وإدارية لا تفتح الأفق أمام الأمة ، ولكنها توجه الفكر نحو معتقدات الكبت والقمع والسلطة الفردية التي تتحكم في الأمة ، وتشل إرادتها ومقدراتها ،وهذه المصطلحات مستخدمة في السياسة والإدارة والفكر والتنظيم قد وضعتها مجتمعات أخرى لها غايتها وعقائدها ونظمها التي لا تتفق أحيانا كثيرة مع التقاليد العربية والقيم الإسلامية ، ولا تنطبق الألفاظ مع معانيها ومن ذلك استخدام مصطلح الشعوب العربية الذي يوحي بالتشتت والتفرق واختلاف المقومات والأصول ويؤكد النزعة الإنفصالية والانحراف الفكري ، وهو من المصطلحات المدسوسة في فكرنا الحديث السياسي الأدبي والتاريخي وعلى غرار ذلك يستخدم مصطلح الشعوب الأفريقية ، وهو كذلك تعبير سياسي يكرس الواقع السياسي ويرفض الأصول والتقاليد التاريخية ، ويثبت واقع التشرذم الممزق للأمة والعالم العربي، وكذلك مصطلح العالم العربي الذي يعني التباين والاختلاف في الأصول واللغة والتاريخ لتأكيد الانفصال وعدم الشعور بالرابطة القومية وهدا الخلل المنهجي وضع بشكل متعمد لكي يؤثر في الفكر والوجدان يؤكد الشعور بقبول الأمر الواقع، وتتبعه الأجيال المتلاحقة باعتباره واقع موروث حتى وهو يتناقض مع الحقيقة ويخالف المنطق[28] ، ويكرس الإقليمية والتشرذم ويوحي لتهيئه الإنسان العربي بالفرقة والتباعد وعدم الوحدة والتقارب.

---

[28] الصادق النيهوم ، الإسلام في الأسر ط ثالثة ، 1995 ، دمشق ص ص 35 40

مصطلح الصهيونية

تعمد اليهود تلفيق القصص والأساطير واختلاط العصور ؛ لإثبات جنس لليهود ينحدر من سلالة سيدنا إبراهيم الذي ينتمي إلى العرب الآراميين من كلتان في منطقة الفرات ، وتصور أساطيرهم قدوم إبراهيم لأرض كنعان ليملكها له ربه ويباركها وفي هذه المنطقة أنجب إسحاق وإسحاق أنجب يعقوب وبذلك اختلقوا لأنفسهم أنبياء وملوك وبطولات ، في حين تذكر الروايات أنهم جماعات بدوية أرامية متشردة عاشت في حرمان ، واعتمدت في حياتها على النصب والحقد متأثرين بما عانوه من هامشية في كنف حضارات كبرى ، ويمكن استيضاح ذلك من النصوص المسمارية في القرن الرابع والخامس عشر قبل الميلاد التي ذكرت جماعات عرفت باسم العبيرو أو الخبيرو ، وصفت بأنها متشردة وتمارس العصابات واللصوصية وخارجة على النظم ، ويلاحظ أن من تلفيقاتهم وخرافاتهم على أن الرب قد وعدهم بالثروات الهائلة والأغنام والفضة مما يدل على الشعور بالحرمان والمجاعة ، ولذلك أوجدوا تبريرات دينية لممارساتهم وسلوكياتهم للغش والحقد والقتل والكراهية ؛ لأنهم شراذم همجية انبهرت بالحضارات التي عاشوا على هامشها والتي بدافع الحقد نهبوا فكرها وتراثها الأسطوري ونسبوه لأنفسهم ووضعوه تحت الغطاء الديني ليأخذ صفة المباركة والقبول ،وادعوا أن الرب بارك نسلهم ولعن غيرهم وربطوا خرافاتهم بأرض كنعان ليورثوها لأنفسهم ، كما نقلوا الأساطير الشفوية والقصص القرآنية ، وصاغوها برواياتهم الخرافية لتبرير أصولهم وديانتهم وتلفيقاتهم المتناقضة[29] ويمكن فهم ذلك مما كتبوه فيما يعرف بعهد الملوك في القرن التاسع والثامن ق.م ، وما كتبوه بعد السبي البابلي في القرن السادس ق . م ، ويلاحظ أن هذه الكتابات قد تأثرت بظروف زمنها لاسيما بعد أن طردت هذه الشراذم من منطقة وادي النيل التي جاءتها باحثة عن سبل الحياة ويبدو أن مصادر هذه الكتابات الفكر الديني الفرعوني والبابلي ، وجمعت

---

[29] شفيق مقار ، نفس المرجع السابق من ص 31 - 123

المعتقدات اليهودية من الديانات القديمة الأسطورية التي أتبعتها هذه الشرائم وتاهت بين تلك الديانات لتلفيق دين واحد خاص بهم التي إتبعوا فيها ما يعرف بيهود[30] ، أما سيدنا موسى فيعتقد أنه أحد كهنة أخناتون صاحب الثورة الدينية التوحيدية في العبادة الفرعونية ، وهو أحد أبناء البلاط الفرعوني ، وتشير الروايات على أنه كان مصلحاً ولذلك كان نصيرا للضعفاء وأختاره الله نبيا ، ويعتقد بأن رسالته قد نزلت عليه باللغة الهيروغلوفية[31] ، وبذلك أبعدو أنصاره من الضعفاء من وادي النيل فأتجه إلى الشام حسب ما نقل عن (فرويد) [32] ،أما ما يعرف باللغة العبرية فهي أحد اللهجات الكنعانية التي عرفت في منطقة الشام، ولم تنزل بها ما عرف بالثوراة التي يعتقد بأنها ضاعت على يد الغزو البابلي، وبذلك يتضح أن أسفار اليهود المعمول بها حالياً هي مجموعة من الكتابات المختلفة ، والمنهوب نصوصها من الحضارات والأفكار القديمة كقصد إثبات كيان وعقيدة ومجتمع ليس له أصل ولا جنس ، فهذه الجماعات التي ذكرت مع سيدنا موسى أو قبله هي جماعات على الأرجح عربية عاشت في منطقه صحراوية، وعانت مصاعب الحياة ومشاقها ، واحترفت اللصوصية والنهب ، ولذلك كانت منبوذة من الحضارات القائمة في ذلك الوقت ، فلا يوجد جنس أو قوم باسم الأمة اليهودية فهي ظاهرة دينية وضعية اتبعها بعض الكهنة ، وكونوا حولهم أتباع موردين من الجماعات الخارجة عن النظم والقيم ، وتطورت هذه الظاهرة عبر الزمن في حركة عنصرية بعد أن تأثرت بالمواقف الصليبية المعادية للعرب والإسلام، عرفت بالصهيونية في نهاية القرن التاسع عشر ، وقامت على مبدأ عدم انسجام هذا العنصر مع غيره من البشر ، وأكدت على جمعهم في وطن واحد، ولقلة عددهم في العالم قرروا تسخير الدول الكبرى لتحقيق غايتهم[31] ، ووجدوا استجابة من بريطانيا والولايات المتحدة ونشروا الحركة الصهيونية بين أتباع اليهودية والمسيحية ، وكانت في بدايتها ذات مغزى ديني ثم تحولت إلى حركة سياسية

---

[30] شفيق مقار ،نفس المرجع السابق ص ص 131 ، 207 ، 324

[31] شبكة المعلومات ، موقع العربية ، أرض الأنبياء ، مادة سيدنا موسى

[32] شفيق مقار ، نفس المرجع السابق ص 325

[33] ل- عسقري وآخر،الصهيونية والعنصرية (الصهيونية حركة عنصرية) المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1979 ص ص 28

توسعت تسعى لغرض كيان يهودي في العالم تحت شعار حرية اليهود، وهي حركة معادية للعرب والمسلمين شبيهه بالصليبية ؛ ولذلك وجدت تشجيعا من الدول الغربية الصليبية على تجميع اليهود في المشرق العربي لتخلص من شرهم في القارة الأوربية ، وتقوم الصهيونية على أساس تقسيم البشر ثلاث أجناس باعتبار أسفلها الأسود ؛ ويليها الأصفر ؛ وفي المرتبة العليا الأبيض باعتباره المتفوق وصانع الحضارات من هذا المنطلق عاملوا البشر ولذلك نادوا بقيام دولة على أساس ديني ، وأدعاء قومي ويطرحون هذه المقالة في الفكر السياسي العالمي، ويستندون في ذلك على أن اليهودية ديانة خاصة بمجتمع معين ومختار[34] ، ويحددون إنتمائهم لهذا الدين باعتقادهم أن هذه الديانة لايبشر بها غيرهم ؛ وبذلك فإن هذه الديانة تقوم على العنصرية وممارسة الغضب والحقد باعتبارها واجب ديني ، وتطور هذا الولاء الديني إلى صهيوني سياسي ومصلحي يدفع إلى الامتلاك والهيمنة والثروة باعتبارها مهام مقدسه ؛ ولهذا شوهوا الأحكام الدينية لتحقيق منافع مادية ، وينتظموا في مجموعات لتحقيق الغايات الصهيونية، ويتصدوا لمن يتخلى منهم عن هذا التوجه ، ويلاحظ أن كيانهم العنصري قائم على استخدام القوة والدين المفرغ من الروح ، وسيطر أتباع هذه الحركة على مراكز القرار والنفوذ في الدول الكبرى[35] ، وقد نسبوا تسمية الصهيونية إلى تل في القدس ثم أطلقوها على مدينة القدس ثم أصبح التعبير يعني الطائفة اليهودية ، وتزعم هذا الإتجاه رجال الدين للسيطرة على القدس تنفيذا لواجبهم الديني كما استخدموا كلمة إسرائيل التي وصف بها سيدنا يعقوب بمعنى المبارك جعلوها أبرز من كلمة يهودي لإثبات صفة المباركة على عنصرها ، وارتبطت هذه الحركة بالمصالح الصليبية[36] ، وتوضح هذه التلفيقات والخرافات ماتركته هذه المجموعات من تشويه وخلل منهجي وإشكاليات في بنية الفكر التاريخي بأتباع معتقدات خاطئة عنصرية حاقدة قائمة على التعصب والتزوير والخيال الخرافي

---

[34] ستيفان فولانوف (العنصرية مبدأ أساسي في الصهيونية)المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1979 ص ص 33 ، 36

[35] جي . نوبير غر . الفرق بين الصهيونية واليهودية ، نص المرجع السابق ص ص 191 ، 198

[36] كلاوز ، ج ، هيرمان ، الفرق بين الصهيونية واليهودية ، نص المرجع السابق ص 201، 206

الذي يعمل على قيام مجد وعظمة قائمة على الأماني ، وتخريب الموروث الإنساني ، وقلب الحقائق وإتباع الإدعاءات الباطلة التي لاتستند على دليل مادي ولا منطقي ، ولا يقبلها العقل مما يحتم علينا التعامل بموضوعية وجدية مع هذه الخرافة وتنقية فكرنا التاريخي والأدبي والديني والإنساني من هذه الخزعبلات، وإعادة كتابته بالاعتماد على الأدلة المنطقية والمصادر المادية حتى نتخلص من تلك المغالطات والخرافات ، ونبعدها عن الفكر العربي الحديث .

مصطلح الشرق الأوسط

ظهر استخدام هذا المصطلح لأول مرة في عام 1902 م في مقاله مؤرخ بحري أمريكي يدعى (الفريد ماهان) نشر في مجله (N atinal Review) صدرت في لندن ، وكان يقصد بهذا الاصطلاح المساحة الجغرافية الممتدة بين الهند والمنطقة العربية ، ويشمل الوطن العربي وتركيا وبلاد فارس ، وبمعنى أدق قلب العالم الإسلامي وهو تعبير جغرافي يهدف إلى طمس مفهوم العرب والإسلام في المنطقة، واستخدم فيما بعد هذا المصطلح من قبل الكتاب والقادة العسكريين ثم اندمج في مصطلح الشرق الأدنى وقصد الكتاب الأوروبيون من ذلك شرق أوروبا التي اعتبروها مركز العالم ، ويفهم من هذا الاصطلاح تحديد دوائر النفوذ التوسعية الغربية التي شملت منطقة واسعة امتدت من الخليج العربي والبحر الأسود إلى المناطق الاستوائية ، ومن الهند إلى الأطلسي ، وفرض هذا المصطلح من حركة الفكر ، ليكون بديلا لمصطلح الشرق ، وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات المتباينة على تحديد استخدام هذا الاصطلاح غير أنه أتضح أن أكثر استخداما لهذا المصطلح قد برز أثناء الحرب العالمية الثانية باطلاقة على قيادة عسكرية ومركز تموين ، ويبدو أنه تم التركيز على هذه المنطقة لأهميتها الحضارية والاستراتيجية والاقتصادية ، وباعتبارها مكانا لمهبط الأديان الثلاث (اليهودية – المسيحية – الإسلام) ، ومن أبرز مجالاتها الحيوية لأشتمالها على أهم رقعة جغرافيا تتمركز في قلب العالم الإسلامي [37] ، وبتشخيص هذه المصطلحات يتضح لنا مدى خطورة الخلل المنهجي في بنية الفكر التاريخي وما تكونه هذه المصطلحات من إشكاليات تكشف عن نوايا تخريبية وخطط مبيته ومدسوسة في بنية الفكر التاريخي ، للتأثير على المقومات المعنوية وإضعاف الموضوعية والمصداقية في الفكر ، مما يحتم علينا إعادة كتابة تاريخنا بموضوعية وبقدر من العلمية والدقة ، ولا يجب أن يفوتنا أن فهم حركة التاريخ مرتبطة بحركة الفكر الإنساني ، وعلى قدر فهم التاريخ واستقامته يكون فهم

---

[37] عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، سنة 1975 ص من 12، 15

مستوى الوعي ، وبما أن فهم الحقائق التاريخية تعكسها ذهنية المؤرخ ، فان متطلبات إعادة كتابة التاريخ تنصب على مواجهة النظرة الاستشراقية الاستعلائية الحاقدة ، ولهذا يعتبر تصحيح النصوص التاريخية مسؤولية المؤرخين التي تتطلبها ضرورات النهضة وبناء الشخصية وتأكيد الهوية باعتبار أن التاريخ يمثل ذاكرة الأمة ، والتي إذا ما أصابها التشويه أو الضعف أو الوهن فإن ذلك يفتك بها فالوعي بالتاريخ هو الوعي بالذات ، وإهماله أو تركه يؤدي إلى التخلف والانحطاط ، ونظرا لما تعرض له الفكر العربي من هجمة صليبية شملت كل مكوناته في حرب معنوية مدمره بقصد القضاء على العرب من خلال إفساد حركة الفكر ، وفرض الاستلاب والسطحية فإنه تصبح الحاجة ماسة لمواجهة هذا الخطر بنفس أدواته وإمكانياته ، وبتحديد إستراتيجية فكرية قائمة على معالجة الإشكاليات، وتحديد المنهجية لفكرنا وكتاباتنا التاريخية مستندة على الحقائق والوقائع المادية المصاغة بموضوعية ، ومتطابق فيها اللفظ مع المدلول في حدود النص والمعنى.

الفصل الرابع

التقليد و الإتباع
في التاريخ العربي الحديث

ما المقصود بالإتباع والتقليد في كتابة التاريخ ؟ ولماذا لم تتحرر كتابة تاريخنا الحديث من القيود والإتباع ؟ وهل العيب فينا أم هو مفروض علينا ؟ وما هو السبيل الأمثل للتخلص من هذه الإشكالية ؟

يعرف التقليد والإتباع في اللغة بالانقياد والإتباع بدون نظر أو تأمـــل[1] بينما الإتباع : يعني الولاء والسير خلف المتبوع[2]

ومن خلال البحث في هذه الإشكاليات يتضح لنا أن فكرنا التاريخي محكوم بثلاث عوامل أساسية (التخلف – الجهل – الخوف) فمن أهم مظاهر التخلف الجمود والضعف الفكري ، وعدم الاهتمام لمعالجة السلبيات ، وإهمال مطالب التغير والتطور وانتشار الخلافات في مطالب التجديد ، وتحوله إلى أزمات فكرية تقود إلى التفرق والتقليد الموروث والقوالب الجاهزة واقتصار الحركة الفكرية التاريخية على دعم المواقف السياسية وبعض الجوانب العقائدية ، غير أن الإنسان العربي لايستطيع أن يقوم بدور مؤثر في حركة الفكر ما لم يحرص على ذاته وهويته، ويعرف ماذا يريد ، ويوضح لنا مستوى الجدل الدائر حول دور الفكر في مسألة التغير فما يعانيه الفكر من تمزق تسبب في حالة من الضعف في بنيته وضبابية وعتمة تحت ضغوط الإرهاب الفكري الذي دفعه إلى التراجع والتقهقر ، وأجبرنا على العيش في الوهم والخضوع للغير الذي لم يمكن حتى من الحد الأدنى من الإنجاز الفكري، وأصبحنا نقبل بما يسمح لنا باستخدامه من الفتات وبسبب ذلك لم تنجح ردة فعل فكرنا المعاصر الناتجة عن هزة الفعل الأوروبي بعد مرحلة من الاتحطاط والجمود والخمول [3].

---

[1] جبران مسعود ،الرائد ،معجم لغوي عصري ،دار العلم للملايين ، 1964 ، ص 1198، ص 357

[2] نفس المرجع السابق ص 357

[3] برهان غليون ، نفس المرجع السابق ، ص ص 26 – 36

التخلف في فكر التاريخ العربي الحديث .

كانت ظهور بعض المبادرات الفكرية العربية غير قادرة على مواجهة التحديات الفكرية ، فحتى كلمة النهضة التي تمثل مطلب ملح فرضت بالتقليد على العرب مقتبسة عن الفكر الأوربي الحديث ، وتحولت بلادنا كأنها وكالة يديرها الوكيل لصالح المالك ، ويمكن فهم ذلك من ارتباك الحالة الفكرية حتى في الإتباع والتقليد التي تعتمد على تصديق السمع ، وتسكت عن المرئي ، ونعرب وننترجم دون المقدرة على الفهم والمعالجة ، في وقت تمكنت فيه الهيمنة الغربية من هزيمة النظام السياسي العربي ، ووضعه تحت السيطرة ، وإجبـــاره على الخضوع والتبعية ، لكنها لم تتمكن من هزيمة الأمة مما جعلها تركز على تفكيكها وإضعافها بتدمير القيم المعنوية ، وسلب إرادتها وجعلها تعيش في حالة استلاب فكري[4]، ولتصحيح هذا الوضع لابد من فهم مكوناته الأخلاقية والفكرية التي استخدمها الغرب، وركز عليها في حربه الواسعة والتي طالت القديم والحديث، والهوية والحداثة، ورسمت خصوصية علاقة العرب بغيرهم وحركتها عوامل تحت تأثير العداوة وفرض التخلف ، وكونت الموقف الفكري العربي في التعامل مع الأحـــداث ، فنحن لا نستطيع أن نقبل هذا الواقع ولا نملك الأدوات الفكرية التي تمكننا من رفضه ، وهكذا يتضح أن الوعي العربي في مأزق وتعاسة، نتيجة للضعف والتمزق والخلافات.[5] وخوار العزيمة والإرادة.

ولضعف الوعي لم يستطيع الفكر العربي تجاوز هذه المعضلات، أو التخلص من حركة الاستلاب الفكري، وتحول الجدل الفكري إلى ساحات صراع عقائديـــة ساخنة ، شغلت العرب عن مواجهة الخطر الخارجي الداهم ، وكشفت هذه النزاعات عن ضعف المفاهيم، والخلط بينها وضعف المنهجية ، وسيطرت الذهنية العقائدية ، والأحكام المسبقة على الأعمال الفكرية التاريخية حتى بالتناقض مع المنطق والواقع بدافع التبرير والتستر ، وبدون شك فإن هذا المستوى من الفكر لا

---

[4] المسادق النيهوم ،الإسلام في الأسر ط الثالثة 1995 دمشق ، ص من 11 ، 13

[5] برهان غليون ، نفس المرجع السابق ص من 36 ، 37

ينتجه إلا عقل يتعامل مع الشكل باستنباط الأفكار المسبقة ، لعجزه عن الفعل والفهم والقدرة على معالجة سلبيات الواقع ، مما يجعله لا يقوى على مواجهه الاكتساح الفكري الخارجي الذي يحقنه باستمرار متبعا كل الوسائل والتقنيات ، التي تمكنه من السيطرة والهيمنة وتجعل الفكر المستهدف مستهلكا وتابعاً.

فهل نطلب مصداقية من فكر لاتهمه قضيتنا ولم نسهم في صنعه !!

إن الفكر في اعتقادنا لا يستقيم إلا بفهم الواقع وتحليله بالمنطق والعقل وليس مجرد تخيل في الذهن ، الذي عندما يتضح أخفاقه يحدث التراجع والانكفاء ويسيطر شعور بالفشل واستصغار الذات وعدم الثقة في الفكر العربي أمام الفكر الأوروبي الدخيل من منطلق التأثر بأنماطه الفكرية المهيمنة ، التي تعمل على تحويل أفكار المجتمعات الضعيفة إلى هامشية سطحية ، ويضعف ذلك الشعور والإحساس النفسي ويدفع إلى التراخي والتخلي والاستلاب والاقتناع بالغلبة[6] وفي هذا الخصوص يشيرا بن خلدون إلى أن المغلوب دائما يقلد الغالب في الفكر والمظهر والتصرف ؛ لضعف الثقة بالنفس ، وسيطرة الشعور بالعجز[7] ويفهم ذلك من القول بأن الفكر العربي لا يستطيع أن يجاري التطور الغربي ، ولمناقشة هذا الوضع العربي بالفكر التاريخي الذي يتضح في الكتابة والفهم والنقل، وعدم القدرة على إثبات الذات وكتابة التاريخ القومي ، ولتشخيص هذه الحالة لابد من دراسة الواقع الذي يعيشه العرب في ظل التحديات المتسرعة بسبب التغيرات العالمية التي فرضت على المجتمعات الضعيفة بالهيمنة والتبعية والعنف ، مستهدفة هويتها وفكرها واستلاب مقوماتها وتهميش وتغريب تراثها للتقليل من شأنها ،وجعلها في وضع يلزمها بالنهج الغربي قابلة خاضعة مرددة ما يفرض عليها ، ويمكن استيضاح ذلك من استخدام الألفاظ بالجمل اللغوية التي لا تتناسب مع تأكيد هويتها وموضوعية فكرها لاسيما في المجالات السياسية والأدبية والعلمية، ويكشف ذلك عن ضعف وجهل المهتمين بالقضايا الفكرية والتاريخية التي تتطلب تحليلا وفهما عميقا ، وتولى التعاطي مع القضايا الفكرية السطحيون والانتهازيون الذين لا

---

[6] برهان غليون ، نفس المرجع السابق ص ص 53 ،55 ، 58 ، 59 ، 116 ، 117 ، 128

[7] نفس المرجع السابق ص ص 129 ، 130

يستطيعون تبني القضايا الفكرية وتطويرها والدفاع عنها وخاصة أمام هجمة العولمة التي طورت وسائلها وآلياتها[8]، وقابلها العقل العربي بالعجز والإحباط النفسي الذي أثر في السلوك[9] المتأثر بالطرح الغربي المتعسف الذي لا يحترم حقائق الزمن ولا مسيرته ولا حركة الفعل البشري والمكان التي تسوقها العمليات العقلية ، ومن مظاهر هذا الخلل التعسفي التقسيم الثالوثي في التفكير والتاريخ التي بنيت على الإنسان والزمان والمكان ، وهذا يعني أن الإنسان بوعيه الفاعل في حركة التاريخ في زمن معين وفي مكان محدد والخلل ليس بهذه الثوابت لكنه يكمن في الغايات والخيال، الذي يهدف إلى تسخير الفكر التاريخي ضمن وسائل السيطرة والهيمنة ، فالوعي بالزمان يأتي من الضرورات الأساسية في فهم حركة التاريخ أما تقسيم الفكر لمفهوم الثالوث الشركي فهو قد فرض في مختلف النواحي الفكرية مثل تقسيم التاريخ إلى القديم ووسيط وحديث ، وتقسيم الإنسان إلى جسد وعقل وروح، والمجتمع إلى طبقات مثل العامة والأشراف والملوك، والعالم إلى متقدم وصناعي ومتخلف، وهو نظرة خيالية مستمدة من معتقدات وفلسفات عنصرية تجاوز بها أصحابها الثنائية المعروفة في الفكر مثل (الخير والشر ،والنور والظلمة ، والشرق والغرب)[10] ، وهي عملية تخريب لمضامين الفكر لاسيما التاريخ ، وهي قائمة على مؤثرات ماسونية، معتمده على التضليل والخداع، متظاهرين بالبحث على الإصلاح والسعادة ، ويخفون وراء ذلك أغراضهم الشركية الهدامة[11] ، بالاستفادة من التاريخ لاستخدامه في تحقيق مأربهم، ولم يتعاملوا مع التاريخ بعتباره نتاج الفعل البشري وتجارب الأمم، وتراث الإنسانية بل اعتبروه مجرد استذكار للماضي ، (ترفاً فكرياً يقوم على التخمين والتأويل) ، وتجاهلوا كل أحداثه وأسبابه ونتائجه ونصوصه لا تخلو من التحريف والتضليل المقصود أو غير المقصود من خلال استخدام الألفاظ واللغة، وهو ميدان خصب للمذاهب والأفكار والفلسفات والسياسات التي استندت إلى الفكر

---

[8] عبد الجليل التميمي ، أية إستراتيجية للهوية القومية تجاه العولمة ، التاريخ الإسلامي وأزمة الهوية ، جمعية الدعوة الإسلامية ، 2000 ، ص ص 63 ، 64 ، 65

[9] برهان غليون . نفس المرجع السابق ص 131

[10] المهدي امبيرش ، التاريخ الإفرنجي وأزمة الهوية ، التاريخ الإسلامي وأزمة الهوية ،جمعية الدعوة الإسلامية 2000 ، ص ص 45 ، 48

[11] محمد علاء الدين النظام العالمي الجديد والاستلاب الحضاري ، التاريخ الاسلامي وأزمة الهوية ص 86

التاريخي في البطرح والترويج لمعتقداتها التي صاغتها الذهنيات المتأثرة بها في المجالات الاقتصادية والسياسية والمادية والعرقية لتبرير أهدافها وغاياتها ، فالمؤرخ الذي يستند على مدارس فكرية خارجية لا ينطلق من خصوصيته ولا يستطيع الصمود أمام التحديات لا سيما الذي لا يهتم بواقعه ولا ذاته ، فهو غير قادر على تحقيق مطالب النهضة الفكرية التي تنطلق من أهمية التاريخ باعتباره العنصر الأساسي في بناء الأمة الذي يعتبر من أبرز ميادين الصراع الحضاري ولتحديد أهداف واضحة لابد من استخدام المنهج الذي يشمل الطريقة والتحليل بالحفاظ على الهوية والخصوصية .

الجهل بخصوصية التاريخ العربي الحديث

إن الذين يتبعون المنهج الغربي لا يستطيعون الدفاع عن خصوصيتهم وذاتهم ، ولامعالجة ما لحق بتاريخنا من مصطلحات خاطئة مضره ببنيته ، مما يتطلب إعادة كتابته وتصحيح مضمونه[12] .

إن المتتبع لكتابة تاريخنا يلاحظ الخلل المنهجي الناتج عن الإشكاليات في فكرنا التاريخي والتي تتضح في التخبط والتبعية وانعدام تأكيد الشخصية مما يؤكد أن هذا التاريخ لم تدونه أقلامنا ولكنه كتب من أطراف معادية أرخت لفكرها ومصالحها وتاريخها ، وبالإطلاع على العديد من الكتابات بمختلف المراحل والعصور التي سميت بأسماء محلية هي في الواقع سجلت أحداث دارت على أرضنا ولم تكتب أو تؤرخ حركة مجتمعاتنا ، ويمكن استيضاح ذلك مما يعرف بتاريخ بلادنا في العهد الروماني أو الإغريقي والبيزنطي أو الوندال ، والتي انشغلت الكتابات التاريخية بالكتابة عنهم على أرضنا وسمي ذلك بمسميات وطنية مثل تاريخ ليبيا في العهد الروماني والإغريقي أو البيزنطي ....الخ علما بأن هذه الكتابات عن هذه الفترة الزمنية لا تذكر التاريخ الوطني إلا بما يخدم أهداف تاريخ الغازي ؛ لأن معظم هذه الكتابات تستند على مصادر وكتابات مؤرخي تلك الدول الذين أرخوا لمجتمعاتهم ولم يهتموا بتاريخنا ولا بنشاطاتنا الفكرية والمادية ، ومن

---

(12) عبد السلام شقور ، في مواجهة الصراع الحضاري القلم ، التاريخ الإسلامي وأزمة الهوية جمعية الدعوة الإسلامية سنة 2000 ف ص ص 34 ، 53 ، 55 ، 58

الأمثلة على ذلك تجاهلهم دارسة الانتشار السكاني في بلادنا من نواحي الأصول والمسميات والفاعليات كما تجاهلوا التركيز على العديد من الحركات الوطنية التي جابهت وجودهم في المنطقة في مختلف المراحل الزمنية ، وصعبت من حياتهم كما تجاهلوا مكونات التاريخ المغاربي مثل الدولة النوميدية التي تكونت من اتحاد العديد من القبائل المغاربية ، ومثلت أول وحدة في هذه المنطقة والتي لعبت أدواراً مؤثرة في الأحداث غير أنه يتجاهل الكتاب الكثير من تفاصيلها ، ولا يذكروا إلا ما يحتاجه تاريخهم عنها كما أن الحركة النضالية ضد الوجود الأجنبي ، والتي قامت بها قبائل كثيرة في مختلف المراحل الزمنية انطلاقا من حبها للحرية ورفضها للوجود الأجنبي ، لم تدرس دراسة وطنية تؤكد الذاتية والهوية ، كما إن التشويه والدس في مسألة إثبات أصول السكان التي تجاهلت المصادر العربية القديمة أوجدت نوعاً من الجدل المعتمد على الروايات الخيالية مثل عدم عروبة الأمازيغية وأصول سكان القارة الإفريقية ، وكذلك يتضح في الفكر التاريخي الخلط في المفاهيم وعدم تطابق المصطلحات مع المعنى والمدلول ، ويظهر ذلك في السياســـة والجغرافيا والتاريخ مثل العرب والأفارقة فهذا التعبير ليس له مصدر تاريخي .

أما كتابة التاريخ في العهد الإسلامي فإنها كانت أكثر موضوعية من قبل الكتاب المسلمين ، فهم تحدثوا عن التركيبة السكانية وعن تعاون قبائل المنطقة مع الفتح مما ساعد وعجل بسرعة الفتوح وانتشار الدين الإسلامي في رقعة واسعة بين السكان ، ويرجع ذلك إلى شدة العداء بين العرب والبيزنطيين في المنطقة المغاربية ، ويلاحظ الروابط القبلية ، وروابط الدم كانت قوية مما جعل مهمة نشر الإسلام وفرض السيادة لم تكن سهله ، غير أنه عندما استقرت أوضاع الدولة الإسلامية أخذت تظهر بوادر الخلاف والنزاعات والصراعات مما شجع أصحاب المآرب السلطوية والنعرات المذهبية على استغلال ذلك في الوصول لغايتهم باستغلال الصراعات والاختلافات بين العديد من القبائل مما ساعد على ضعف المنطقة وتفككها ، وجعلها فريسة سهلة أمام الأطماع الصليبية التي حولتها إلى كيانات قزميه قبلية ضعيفة ومهادنة تمثلت في العديد من الإمارات في المنطقة،

والملاحظ أن تاريخ هذه الفترة التي تفككت فيها الدولة الإسلامية لم يدرس بعناية من الجانب الوطني ولم يعره المحتل اهتماماً يذكر .

أما العثمانيون الذين استنجدت بهم معظم المنطقة المغاربية باعتبارهم قوة إسلامية للاستعانة بهم لمواجهة المد الصليبي فأنهم منذ سيطرتهم على المنطقة تجاهلوا تاريخها وسكانها ، ولم يخضع لسلطتهم الكثير من السكان الذين نظروا للدولة العثمانية باعتبارها قوة أجنبية ، وخاضوا ضدها جولات من الصراع تسببت في بروز روح العداوة والتنافر بين الطرفين ، مما ساعد على انتشار الاضطرابات بسبب السيطرة ، وجمع المال والضرائب ، وهذا الوضع لم يمكن العثمانيين من فرض لغتهم وتقاليدهم على السكان ، وتركز اهتمامهم على إدارة المدن وجمع الضرائب ، وانشغلوا كثيرا في الصراعات فيما بينهم ، والدراسات التي تناولت هذه المرحلة من تاريخ هذه البلاد ركزت على تاريخ هذه السلطة في بلادنا ، ولم تهتم بالجانب الوطني إلا بقدر قليل فرضته ضرورة دراسة الإدارة العثمانية ، وبرغم ذلك فان العديد من هذه الكتابات تسمى بتاريخ المنطقة في العهد العثماني وعندما ضعفت السلطة العثمانية أمام التحديات الصليبية ازداد التدخل الأوروبي تحت مسميات مختلفة مثل الرحلات الكشفية والنشاطات التجارية وتدخل القناصل والجواسيس إلى الغزو المباشر الذي قامت به إيطاليا وفرنسا و إسبانيا ، وسيطروا على المنطقة ، وأبعدوا الإدارة العثمانية ، ومن ثم أصبحت المنطقة تواجه مصيرها في ظروف سياسية واقتصادية سيئة ، ومع ذلك فان سكان المنطقة خاضوا حروباً جهادية واسعة ومريرة دلت على الإصرار والتصميم على مواجهة المعتدي ، واحضر المحتلون معهم مجموعات من الكتاب والباحثين والعلماء لدراسة المنطقة وإعادة ترتيبها وتفكيكها ودمجها في دول الاحتلال من خلال القضاء على تراثها ولغتها وقيمها وتقاليدها وتقسيمها وتأكيد التفرقة بين السكان وفرض التخلف والجهل عليها ، وكتبوا تاريخها بمنظور صليبي ،وفرضوا قيودا عليها في العلم والمعرفة ، ومارسوا حروب الإبادة ضد السكان الذين لم يخضعوا لمتغيراتهم ، وأرسلوا فرقاً من المنصرين في محاولة منهم للقضاء على الدين الإسلامي ، ونشروا الكنائس ودور الفساد الأخلاقي ، وعاملوا السكان بوحشية

واحتقار ، نوجزوا بهم في جبهات الحروب ، واعتمد خلال هذه الفترة في كتابة التاريخ على مصادر الاحتلال الأجنبي الذي لم يعطي أهمية للجانب الوطني ، وأرخ لسلطته ولم يبرز في الجانب الوطني عناصر تعمل على إعادة كتابة تاريخ المنطقة وتنقيته بالاعتماد على المعلومات والروايات المحلية التي لا يجب تجاهلها في مختلف المراحل ، ومن هنا نجد أن منطقتنا طمست معالمها ، وزورت حقائق تاريخها ، ونسبت الكثير من مخلفاتها الأثرية إلى عناصر غازية ودخيلة (إغريقية ، رومانية) .

إن المهتمين بالقضية التاريخية والذين تعودوا على النقل والتقليد في كتابة تاريخ المنطقة ، ولم نشهد كتابات متميزة تعالج الإشكاليات وتؤرخ بشكل مباشر لحركة السكان دون الاعتماد على الأقلام المعادية ، وتبين نشاطات وفاعليات دورهم في المسيرة الحضارية الإنسانية ، ولمعالجة هذه الإشكاليات لابد من وقفة جادة لإعادة دراسة الحراك الإنساني الوطني مهما كانت الصعوبات التي تعرقل هذا التوجه والتي من أهمها قلة المعلومات المصدرية التي كثيراً ما تكون عائقا أمام الباحث والمهتم ، غير أنه يمكن الاستفادة من المعلومات والإشارات التي تذكرها المصادر الأجنبية أو الروايات الشعبية والآداب في أغلب الأحيان ، والتي تصور واقع اجتماعي معين يحفظ تراثا أو مستوى معيشي أو حركة نضالية أو مستوى فكري، وهذه الإشارات يمكن أن تتخذ منطلقات لدراسة فعاليات المجتمع وخاصة أن المجتمع العربي يغلب عليه التنقل وعدم الاستقرار وانعدام التدوين وقلة الشواهد والأدوات المعبرة عن النشاط الإنساني ، والتي يمكن أن تدلنا على الأثر التاريخي ، ونعتقد أن التصدي لذلك يتطلب الدراسة والتدوين وإعادة النظر في كل المدونات التاريخية كما يتطلب مؤرخا يشعر بمسؤولياته ، ويطور نفسه ،ويعمل على استقلاليته الفكرية واثبات شخصيته وقدرته في التعامل مع المعرفة التاريخية بالدراسة والنقد والتحليل ببصيرة واعية قادرة على التمحيص والتفسير لكل الفاعليات والأحداث التاريخية ، وليس مجرد الكتابات التي اتجهت إلى الاهتمام بالأوضاع السياسية في الكتابة وتأريخ النظم السياسية الحاكمة والميل لإظهار التمجيد والتلميع وتجنب ذكر السلبيات وموطن الضعف والإهمال تحت تأثير

الخوف الذي يجعل المؤرخ يركن إلى الجانب السلبي الذي لا يترتب عليه مسؤوليات ولا تبعيات تنجم عن قول الحقيقة أو كشف المساوي .

الخوف من الخوض في مسائل الفكر التاريخي .

يظهر عامل الخوف في ضعف المؤرخ العربي وعدم قدرته على تناول تحليل الحدث نتيجة لانعدام الثقة في النفس ، وضعف الإطلاع ومحدودية الإدراك وعدم الدقة في جمع المعلومات مما يجعله لا يسهم بشكل ايجابي في عملية البحث التاريخي التي تتطلب شجاعة وقدرة مصداقية في البحث ، وهي سمات لا يستطيع أن يتسلح بها الخائف ويرجع جزء كبير من السلبية الفكرية في الحقل التاريخي إلى خوف المؤرخين من الخوض في القضايا الجذرية ومواجهة الخرافات والأساطير التي لا تستند على قيمة تاريخية ، وإنما تقوم على الخزعبلات والخيال، والأمثلـــة على ذلك في مجال التاريخ عديدة مثل (خرافات وأساطير اليهود) التي لا تستند على مصدر تاريخي ،وهي من صنع خيال الزعامات الباحثة عن الجاه والسلطة والمال والملك ، وجعلت خرافاتها تحت غطاء ديني لمنع تأويلها أو التشكيك بها ، ورغم اتضاح تزويرها إلا أن كثيرا من المؤرخين يتجنب الخوض فيها أو مناقشتها خوفا من العقاب أوردة الفعل خاصة وأن الجماعات اليهودية قد أعلنت هدر دم من يشكك بها ، كما أن الخوض في المسائل الدينية في مختلف المجتمعات والأديان لها محاذيرها ، ويترتب على المؤرخين مسؤوليات جسام ما لم يكن قادرا ومتمكنا وكثيرا ما يتجنب المؤرخون الخوض في هذه المسائل خوفاً وليس اقتناعاً ، كما أن هناك شعور آخر يجعل المؤرخين لا يثقون في أنفسهم وهو مناقشة ما يكتبه كبار المؤرخين وكأنهم منزهين ومعصومين عن الخطأ ، ومن الملاحظ أن معظم التشويهات التي لحقت بتاريخنا ومعظم حالات الدس والتزوير قد قام بها بعض هؤلاء المؤرخين من أمثال (جوتية – كارل بروكلمان – رينان ..) ، وعندما ننظر إلى كتابة الفكر العربي نجد التناقض واضحا بين الفكر الشعبي وكتابات النخبة الذي تستمد معلوماتها وقدراتها ومنهجياتها من الفكر الخارجي وتقيدها باستنباط مناهجه ومفاهيمه التقليدية

بمحاسنه ومساويه دون إتباع الروح العلمية ، وهذا النوع من المؤرخين لا يعطون أهمية لحركة الفكر الاجتماعية التى أعتبروها دون المستوى الذي يتعاملون معه، فهم بذلك لا يهتمون ولا يعالجون مشاكل واقع مجتمعهم ، وإنما يعملون على استيراد أفكار جاهزة يقلدونها ويجترونها .

فما هي الأسباب التي دفعت هذا النوع من المؤرخين إلى عدم إثبات الذات وجعلهم يكتفون بأخذ الأفكار الوافدة والاقتباس والتقليد بالتكرار وإعادة إنتاج الفكر الغربي دون أن يكون لهم دور أو موقف يؤكد ذاتهم وهويتهم[13] وحرصهم على تراثهم وتاريخهم وفي هذا الشأن يتفق العديد من المؤرخين على ما يعانيه الفكر التاريخي العربي من تغلغل الفكر الأوربي الصليبي الذي يمثل مرحلة من مراحل الصراع الهادفة لهدم بنيتنا الفكرية ومحاربتنا من خلال قطع صلتنا بجذور تراثنا وعزلنا عن الحركة الإنسانية وفق مخططات وعقائد ، لتحطيم الإرادة العربية وتحويلنا إلى أمة خائفة مسلوبة القيم ومتقبلة للنكبات والهزائم وعديمة القدرة والفاعلية وفاقدة الإحساس والإرادة وإشغالها بنزاعات محلية وتعاني من العجز والإحباط والفوضى واليأس عاجزة عن تحقيق أهدافها وبقائها مقسمة إلى كيانات متنافرة ومتناقضة مهددة الإمكانات والموارد[14] ، حتى أصبحت أشبه بالنبات الذي يعيش بمفرده مما جعل الحقل المعرفي يعاني من ضعف واضح في بنيته ومنهجيته بسبب اعتماده على الأفكار الدخيلة ، مما صعب من قيام مدرسة تاريخية عربية[15] تستطيع معالجة الإشكاليات وإعادة كتابة التاريخ مجرداً من التأثيرات الخارجية ومؤثرات سيطرة الفكر الاستشراقي.

وانطلاقا من هذا الواقع فإن الحاجة ملحة لإعادة كتابة التاريخ وتوسيع وتعزيز المحاولات القليلة الخجولة التي قام بها بعض المؤرخين الذين تنبهوا لهـذه المخاطر ، غير أن ذلك لم يحرك يقظة فكرية واسعة في هذا الشأن وانشغلت

---

[13] برهان غليون – نفس المرجع السابق ، ص ص 137 ، 182 ، 272 ، 274 ، 310 ، 311

[14] نديم البيطار دور الدولة التطورية في ترسيخ التاريخ التطوري ، مجلة الوحدة ، العدد 42 ، السنة الرابعة ، 1988 ، ص 6

[15] الحبيب الجنحاني ، وإشكالية تحديد السمات المنهجية لمدرسة تاريخية عربية ، مجلة الوحدة ، مجلة الوحدة ، العدد 42 ، لسنة الرابعة ، 1988 ، ص 18

المحاولات التاريخيـــة بمهاترات جانبية في كتابة التاريخ عن بداياته ولماذا كتابته ؟، وقد أسهمت في التنبيه إلى هذه المخاطر بعض الندوات والمؤتمرات التاريخية التي طالبت بالتصدي لمعالجة الواقع التاريخي المشوه والسطحي الذي قدم لنا على طبق الاستشراق ، غير أن هذه المحاولات لم تستطع تكوين تيار فكري تاريخي قوي يشخص ، ويمحص ما كتب عن تاريخنا .

إن دور المؤرخ تصحيح وحماية الفكر وسيرة الأجيال من التضليل والانحراف تحتم ضرورة إنقاذ الفكر والمصير ، وإعادة كتابة التاريخ العربي لأن ما كتب غير موضوعي ودون المستوى العلمي ، ولا يفوتنا أن نفهم أن حركة التاريخ مرتبطة بحركة الفكر الإنساني وعلى قدر الفهم التاريخي يكون مستوى الوعي بالذات والمصير ، وأن الحقائق التاريخية تعكسها ذهنية المؤرخ لذلك فإن متطلبات إعادة كتابة التاريخ تتركز على مواجهة النظرة الاستشراقية الاستعلائية الحاقدة، لذلك يعتبر النص التاريخي من أبرز مقومات النهضة ومن أهم عوامل بناء الشخصية وتأكيد الهوية لما له من تأثير نفسي ومعنوي على تكوين الإنسان وعلى ذاكرة الأمة التي إذا ضعفت أو وهنت فان ذلك يفتك بها ،ولا يجب إغفال أهمية الوعي بالتاريخ لأنه يؤدي إلى فهم الوعي بالذات وإهماله ، وتركه للأهواء يقود إلى التخلف والانحطاط ، ونظرا لما يعانيه الواقع التاريخي من ضعف وتشويه وخلل في المنهجية ، فأنه يتطلب وبإلحاح إعادة تحديد مفهوم كتابته وفق منهجية محددة مثل وضع ضوابط ومقاييس في الكتابة التاريخية لصياغة تاريخنا ،ويجب أن تقوم بذلك مؤسسات ومنظمات متخصصـــة مثل المراكز البحثيـــة والتنظيمـــات والجمعيات التاريخية والاتحادات ، والتي عليها أن تعالج الإشكاليـــات والمصطلحات التاريخية وتخلص الفكر التاريخي من الخرافات والبدع والتشويه[16] .

ولمواجهة الهيمنة الغربية على الفكر التاريخي باعتباره من أهم ميادين الصراع الفكري المستخدم لإدخال المجتمع العربي الإسلامي في دائرة نفوذها وتحت

---

[16] تركي علي الربيعو ، بعض الملاحظات المنهجية حول إعادة كتابة التاريخ العربي مجلة الوحدة ، العدد 42 ، السنة الرابعة 1988 – ص ص 87 ، 88

سيطرتها وإلزام بعض العناصر المرتبطة بالفكر الغربي بأتباع نمطها وتقليدها بأساليب الخداع والإغراء والتهديد والضغط والقوة لفرض مخططها الفكري ، وجعل العرب في حالة ضعف ، ويقفون في مفترق طرق التبعية وفي حالة انفصال عن أصولهم وقيمهم وتراثهم وتأثرهم بالمناهج الغربية وتياراتها ومذاهبها بشكل تقليدي مكرر ، وهي بذلك تناقض مفهوم التاريخ الذي لا يعيد نفسه وإنما التقليد هو الذي يعاد ويتكرر ، وذلك ما جعلنا نعيش مأزقا فكريا تحت شعار الحداثة التي قادت المجتمعات إلى المتطلبات المادية في الحياة اليومية ووسائلها الجاهزة المستوردة غير أنه من الناحية الفكرية التي تتطلب القدرة البشرية و استخدام العقل ، لم تمكن من الاستفادة منها في ابتكار المنجزات واستخدامها في القدرة العقلية ، وهذا يكشف بوضوح مدى الانهيار الفكري العربي وضعف قدرته على التخلص من القيود، غير أنه لا يجب أن يغيب عن الذهن فصل الحداثة العربية عن العالمية لأن التفاعل و التبادل خاصيتان أساسيتان في حركة الفكر[17] عندما تسهم فيها كل العقول وتتبلور فيها الأفكار .

---

[17] علي أحمد سعيد ، الثابت والمتحول في الأتباع والإبداع عند العرب ج الاول ، دار العودة بيروت ط الرابعة ، 1983 ص ص 255 ، 258 ، 268 ، 269

الخاتمـــــــة :-

يمكن تقويـــــم حركـــة الفكـــر العربي في الأنمـــاط الآتية التي جعلت فكرنا التاريخي حبيس قيود ونظرات لم تساعد على صنع تطور أو إتباع الذات في معدل الحداثة.

أولا .. سيطرة فهم الماضي وصيغه على المسار الفكري التاريخي في قوالبه الثابتة التي لم تشهد تطورات في خصوصيته ومضامينه فضلاً عن تعرضه للتشويه والتحريف والصياغات الاستشراقية التي جعلته لا يحفز على المبادرة والإبداع ، ولا يساعد على تنمية الناحية المعنوية بإبراز سلبياته وطمس إيجابياته ، والشواهد على ذلك كثيرة مثل استخدام المصطلحات الخاطئة وتصوير العرب في حالة الهمجية ووصفهم بالتخلف والجهل وعدم القدرة على التفكير ، كما أشرنا إلى ذلك في الفصل السابق .

ثانيا .. نظرتنا لهذا الفكر لم تتخلص من القيود ماضياً وحاضراً ، مما جعل من الصعوبة بمكان وضع معايير للنقد والتحليل وتصحيح المفاهيم ، ووضع منهجيه علمية قادرة على فهم النصوص والأساليب وتمحيصها وإعادة كتابتها بموضوعية.

ثالثا .. التعامل مع الواقع الفكري التاريخي بسطحية وتقليدية ، وعدم التعمق في منهجه ومعانيه ، أو الاستفادة منها فيما يخدم الحاضر .

رابعا .. يلاحظ على ساحة الفكر التاريخي التشتت والاعتباطية وانعدام الجدية في معالجة السلبيات ، وانعدام ظهور مدرسه عربية تاريخية موحدة في الغايات والأهداف تعمل على تصحيح تاريخ الأمة ، وتسلسل مراحله وربط ماضية بحاضره .

خامساً .. وللقيام بذلك لابد من تقويم النتاج الفكري التاريخي ذاته بشكل شامل وتقويم النظرات والمواقف التي أنتجته سابقا وحاضرا ، وتحديد رسم صورة المعالم الممكنة للفكر التاريخي[18] بموضوعية ومصداقية .

وفي اعتقادنا أن ذلك لن يحدث إلا بقيام ثورة فكرية تشمل الأدوات الفكرية والأنظمة للمجتمع العربي ، وفي مقدمتها تحرير الإنسان وتخليصه من الانكفاء

---

[18] ينظر المرجع السابق ، ص ص 270، 272، 273.

والتبعية بإتباع مبدأ التحليل والاستقلالية في التعامل مع الفكر التاريخي ، ومعالجته معالجة جذرية تؤسس لحركة فكرية قادرة وواعية بالواقع والمحيط رافضةً لقوالب محدده وجامدة .

إن واقعنا التاريخي يشبه الأرض الملوثة أو الملغمة التي تشوه أو تكون خطرا على من يسير عليها ، وذلك لما لحق بالتاريخ من تشوهات وخرافات وتعصب وظلامية متأثرة بمفاهيم كلاسيكية سياسية قائمة على إبراز جانب الصراع والعنف، وما يترتب على ذلك من قمع واستبداد .

هذا الفكر التاريخي المضطرب استغلته قوى التهديد الخارجي المعادي للعرب والإسلام في ثوب صليبي حاقد مدفوع بأهداف سياسية واقتصادية ، مما جعلنا نتراجع ، ولا نستطيع التقدم أمام موجة الغزو الفكري التي جعلتنا نفسيا نقبل بالتراجع والفشل ، ولم يعد أمامنا شيئا نؤكد به شخصيتنا ألا الماضي الذي لم يسلم هو الآخر من التشكيك والتشويه ، وارتبطت قيمنا وأفكارنا بما نأخذ من التراث بالنقل والتباهي بصورته التقليدية وربطه بالحاضر في شكل من نمط الإتباع والمتبوع ، والتقيد بالنقل والتقليد والقبول ، وعدم المساس به باعتبار له معصومية تمنع التدخل في منظومة تراث السلف ويمكن فهم هذه الصيغة المتكررة من المناهج والمقررات التربوية ومناهج النقد التاريخي ، غير أن هذا النمط لا يمكن معالجته إلا بالنظر للإنتاج الفكري التاريخي بمعزل عن كل المؤثرات والتخلص من فهم التراث على أنه إرث خاص له قدسية ويمنع تقييمه وإعادة دراسته[19]، بدلاً من اعتباره إنتاج بشري له عقوله وزمانه وظروفه تعرض كغيره من مقوماتنا الفكرية إلى التشويه والتخريب والتحريف ،ويتحول إلى إشكالية في المناهج وفي البنية التاريخية .

وهكذا يتضح أن الإتباع والتقليد ظاهرة معتمدة على الموروث فرضتها حالة الضعف والركود والتخلف والجهل والخوف ،ونمتها السيطرة الخارجية ، وحافظ عليها لتأكيد الاستلاب الفكري لاسيما من الناحية التاريخية ، وبذلك سيطر على الفكر العربي اعتقاد مفاده أن النهضة والحداثة خاصة بالمجتمعات الغربية ؛لأنها

---

[19]. نفس المرجع السابق من ص 274 ، 278

قائمة على البحث والنقد وإعادة النظر في السابق والخلاف والتجديد ، بينما سادا اعتقاد بأن الفكر العربي قام على التقليد والثبات بالنقل والمحاكاة في كتابة التاريخ العقائدي الذي تؤثر فيه العواطف والأمزجة والسياسة والخيال ، وبذلك يتحول النص التاريخي من حقيقة حادثة إلى رأي لايشترط التزام الواقعية والوضوح والصدق ، لاسيما إذا كانت الكتابة خاضعة لتوجيه سياسي عندها يصبح المؤرخ عاجزا عن الاستقالية في كتاباته ويصير محكوماً بالعاطفة أو المصلحة أو السلطة، ويلبي طلب نظامه السياسي الذي يتجنب كشف عيوبه[20] ، غير أنه من الإنصاف ألا يجب أن يكون التاريخ تابعا للسياسة ، فهو يختص بالإنجاز الفكري والحضاري ودراسة الفاعليات الإنسانية .

إن حركة المجتمع التي لا يستطيع القيام بها شخص بمفرده مهما كانت قدرته، وينتج عن ذلك مواعظ وعبر ودروس تفيد المجتمع ذاته والإنسانية في مسيرتها وحياتها ، ولا يجب التأثر بالبنية المعاصرة للحدث التاريخي سواء كانت دينية أو سياسية أو عقائدية والتي كثيراً ما تترك أثرها على بنيته ، فالتاريخ تعبير عن الأفعال والإنجازات والمساهمات الإيجابية ،وليس تمجيدا وتقديس للإفراد والحكام أو سرد أخبار الملوك والسير والحروب[21] ،ويتفق العديد من المؤرخين أن أحداث التاريخ حقائق مقدسة لذلك يجب ألا يعير المؤرخ اهتماماً إلا للمعلومات التاريخية الصحيحة حتى تكون كتاباته عنها محل ثقة واحترام من قبل المنصفين ، فالمؤرخ الموضوعي هو الذي يسجل الأحداث ويقيمها ويحللها من أجل الوصول للحقائق التاريخية ، والربط بين الماضي والحاضر[22] ، لذلك يجب أن توضع مقاييس لمفهوم الفكر في التاريخ ، فهو ليس مجرد حقائق فقط ، وإنما رصيد لمنجزات حضارية وتجارب إنسانية وتفاعلات سياسية واجتماعية .

إن التاريخ كثيراً ما يتأثر بالفلسفات والعقائد والمذاهب السياسية والمصالح التي يجب أن يتداولها المؤرخ ،ويتعامل معها بموضوعية وتجرد ،ومن المعروف أن

---

[20] ادونيس ، نفس المرجع السابق ص 284 ،

[21] سمير عبده ، صناعة تزييف التاريخ ، دار كتاب العربي ، دمشق سوريا ، 1989 ، ص-ص 44 -45

[22] احمد محمود صبحي ، في فلسفة التاريخ ، منشورات الجامعة الليبية ص 90 ، 91 ، 92 ، 93

كتابة التاريخ تعتمد على المصادر والمخلفات المادية ،غير أنه يمكن تحريف وتغيير المعلومة التاريخية دون التقييد بالأدلة المصدرية مما يفتح المجال للآراء، والخلط بين المفاهيم والخضوع للمؤثرات التي كثيرا ما تنحرف بالنص عن مساره الطبيعي .

واعتقد أن ذلك من أبرز الأسباب التي تفرض على المؤرخ أن يكون محللا ممحصا في جمع النصوص وكتاباتها ثم تخليصها من الروايات المغرضة والمعلومات المشكوك في صحتها وتحديد ما يمكن قبوله منها ووضعها في سياقها التاريخي ، فبالتاريخ نستطيع أن نتمكن من معرفة الحدث وظروف المؤرخ ومقاصده وميوله ، وأحيانا تدفع المصلحة والحاجة بالمؤرخ إلى التزوير والكذب على التاريخ وقد يرغم على ذلك أو بدافع الكراهية أو التملق أو الغرور والتباهي أو الانحياز ، ولهذا يرى بعض المؤرخين أن معالجة النص التاريخي تشبه جراحة التجميل[23] التي تعالج ما لحق بالجسم من أضرار ، ويمكن قياس ذلك على الأساطير التي تبنى على الخرافة وتحمل التناقض ؛ لأنها تقوم أساسا على نسيج الخيال مما يدفع المؤرخ الذي يبرز هذا الجانب على طرح التساؤلات التي تساعد على التنقيح والتصحيح من خلال الأدلة والمقارنات والبحث والتنقيب ، وذلك ما يدفع بالمهتمين بالفكر التاريخي على التركيز بكتابة التاريخ بموضوعية ، وتجنب كتابته بمفهوم التحيز والتمجيد للأقوياء وتبريراً لأخطائهم ورفض مالا يتفق مع مصالحهم ، مما جعل من التاريخ مادة تضليلية بدلا من فكر إنساني تفيد تجاربه في الحياة بدون شك ، فإن هذا النوع من التاريخ بما يحدثه من غبن تسبب في تكوين متطرفين غاضبين ومتعصبين ورافضين لواقعهم وتاريخيهم ، ويلاحظ هذا الخلل المنهجي بشكل واضح في الكتب المدرسية والتعليمية مأخوذة عن المؤلفات الغربية التي كتبت عن العرب والإسلام والتي لا تتناول إلا الانجازات الغربية وسيطرتها واحتلالها ، مما يزيد من حقد المغلوب على الغالب ولعل الرغبة في

---

[23] محمد طاهر الجراري لماذا كتابة التاريخ ، مجلة البحوث التاريخية ، مركز الجهاد الليبي ، طرابلس 1979 ، ص من 92 ، 94

التملك والسيطرة هي الدافع في تشويه التاريخ ، وفي الأغلب فإن حركة الاحتلال وسيطرة القيود الفكرية .

وعلى الرغم من ذلك فأن قوة الاحتلال لم تستطع تجريد المجتمعات المحتلة من مقوماتها ومعتقداتها الحضارية ، وربما هذه الأوضاع هي التي دفعت المؤرخين في القرن التاسع عشر إلى إتباع نهج فلسفه التاريـــخ مثل (فولتير) ، ويلاحظ ميل المؤرخين في كتاباتهم إلى استخدام مصطلحات سياسية لخدمة توجهاتهم وانتماءتهم ، فالماضي لا نستطيع مشاهدته بشكل مباشر ، ولكن يمكن استنتاج أحداثه من فهم ذاكرة الحاضر[24] لإعمال الزمن السابق ، من خلال تجربة الحاضر ، وهو أمر يحتاج إلى الخبرة والقدرة على الفهم والتحليل ، وذلك من خلال استحضار أحداثه ؛ ولهذا كثيرا ما تتغير النظرة إلى الماضي من خلال نظرة الحاضر وتطور مفهوم دراسة التاريخ من تاريخ النظم والملوك إلى علم دراسة الحضارات والنشاط الإنساني ، ويلاحظ ذلك من اتساع حركة التاريخ إلى الحد الذي لا يستطيع المؤرخ الإلمام به مما دفع بالمؤرخين إلى تقسيم التاريخ إلى مراحل حسب التخصصات الزمنية ، وتوسعت الدراسات التاريخية وتشعبت موضوعاتها وأساليبها ، وزادت ضخامة الإنتاج الفكري والتباعد الزمني، مما صعب على المؤرخ تحري الدقة والموضوعية ، ودفعه إلى استخدام الأدوات والتقنيات التي تساعد على تحديد عمر الأشياء والمواد والمخلفات مثل التحليل الإشعاعي والكربوني والأملاح وقد أثبتت الدراسات أن الإنسان قديما كان جزءاً من الطبيعة ، أما الآن فسيطر على الطبيعة وسخرها لمصلحته ، وبرغم ذلك فإنه لا يمكن الاستغناء عن المصادر والأدلة والمخلفات الأثرية والوثائقية لإثبات الحقائق التاريخية والتفريق بينها وبين القصص والحكايات التي كثيرا ما تخالف الموضوعية والنزاهة لاعتمادها على المقاصد والخصوصيات ، أما النص التاريخي فأنه من أبرز مجالاته دراسة الكيفية التي يعيش عليها الناس ، وتأثيرهم في بيئتهم وما تركوه عليها من أثر والتاريخ مقدار ما نعرفه ونفهمه من ذلك ،

---

[24] منير عبده ، نفس المرجع السابق ص ص 94 ، 95 ، 100 ، 102 ، 103 ، 104

ومن هنا يتضح أن الإنسان هو محور الارتكاز لحركة التاريخ[25] ،غير أن استخدام هذا الفكر في ميادين الصراع جعله متشتت بين الحقائق الوثائقية والمصدرية وبين حركة الناس ونشاطاتهم وميولهم ونزعاتهم التي أخذت النصيب الأكبر من التدوين التاريخي ، ويلاحظ أن الاهتمام بالفكر التاريخي في الزمن الحديث قد ارتبط بالدفاع عن الهوية وكان من أبرز ميادين الجدل لاسيما بين الحداثة والتقليد والأصالة والمعاصرة ، وتعددت المواقف والآراء والتحليلات بين من يعارض عناصر الفكر في الحداثة ، ومن يربطها بالتقدم ، وترتب على هذه المواقف نظرة إلى الفكر الغربي والحداثة والتراث والدين ، وانشق المهتمون في الفكر التاريخي في اتجاهين ركز إحدهما على التمسك بالأصالة والآخر أخذ بركب الحداثة ، وأشتدت المنافسة بين التيارين السلفي وأنصار الحداثة ، وبرز في هذا الجدل عدد من المهتمين مثل جمال الدين الأفغاني– أحمد خان – محمد عبده – أنطوان فرج) ، وتمسك أنصار الحداثة بالغرب بينما عارض ذلك التيار السلفي ، وظهرت إلى جانب ذلك تيارات قومية أخرى وماركسية ، وقد شغلت هذه التيارات حركة الفكر ، وتفاوتت بين التراخي والتعصب ، وعصفت بالواقع العربي حينما يتعرض لأزمة ، وأصبحت الحداثة مشكلة الإسلاميين ، وأصبح الإسلام مشكلة العلمانيين ، وشمل هذا الصراع مختلف الجوانب الفكرية والسياسية ومثله (صادق الرافعي – وطه حسين) ، وتسبب في إبراز موقفين متناقضين في حركة الفكر، وعكسا حالة من التوتر والتمزق في الحراك الفكري في وقت تصاعدت فيه الهيمنة الغربية التي فشلت أمامها كل المحاولات العربية في بناء حركة فكرية قوية لما تشهده من تناقض وهيمنة وتخلف [26] ، غير أنه لا ينبغي دراسة التاريخ والتراث بعزله عن حركة المجتمع ، ولا دراسة العقل بعزله عن الفكر ولا تهمل هذه الجوانب إلا في حالة التخلف والقصور المنطقي والاستلاب التاريخي ، ويلاحظ أن البعض لا يهتم بذلك ويسعى إلى إلحاقه بالفكر العالمي اعتقادا منه أن ذلك يحقق له الكرامة والفاعلية ، لكن ذلك لا يتجاوز في اعتقادنا حدود التقليد ، ولم يقم

---

[25] ، نفس المراجع السابق من ص 111 ، 112

[26] برهان غليون . نفس المرجع السابق ص 22،32

بما يجب من الناحية الفكرية ، ولا يستطيع أن يكون أداة فاعلة لهذا الأمة ، والأرجح أن هذا النوع من المؤرخين يعاني إخفاقا في العقل يجب أن يعالج و يصحح نظام التفكير حتى لا يتكيف مع القوة ، ويقبل و يعترف بهيمنته ، ولكي يتمسك بقواعده الثابتة لابد من المواجهة[27] والصراع لإثبات القدرة بالقناعة وعدم الخضوع ، ورفض السيطرة ولابد في ذلك من فهم الفرق بين الذاتية والعالمية، وتناقضاتها بين الهوية والغزو الفكري التغريبي ، ومن الصعب بناء حركة فكرية وبناء عقل علمي بالاعتماد على فكر معادي ».

إن أهم ما تتطلبه الذاتية استقلالية الفكر التي تمكنه الاستفادة من الماضي والحاضر ، ويلاحظ أن فقدان الاستقالية هو السبب الرئيسي لما نعانيه من أزمات فكريهة ويتضح أنه من المستحيل حل مشاكلنا الفكرية والتاريخية بالاعتماد على الفكر الغربي ، لذلك لابد من العمل بجدية على مواجهة هذا الواقع بتكوين مشروع فكري قادر على توحيد إتجاهاتنا الفكرية ومعالجة سلبياته لذلك لابد من ..

أولا: جمع الوقائع والإشكاليات التي شلت فكرنا ومزقته ، وأضعفته أمام الغـزو الفكري ، وجعلها منطلقات لقيام هذا المشروع.

ثانياً : جمع الأفكار والطموحات لدي كل التيارات الفكرية في مختلف الإتجاهـات وجعلها غايات نسعى لتحقيقها .

ثالثاً : لابد من صياغة كل التصورات والآراء في سياق موحد ونتخـذها أسـلوبا لنجاح هذه المهمة .

رابعاً: أن التغير البشرى يحتـاج إلـى إرادة وتـصميم وفعـل ؛ لأن الأمنيـات والعواطف وحدها لا تمكن من تحقيق الأهداف والغايات فالحركة والفعل شرطان أساسيان لأي تغير ، وبقدر فهم الإنسان للقوانين والنواميس المتحكمة في الحـدث يستطيع أن يحدث التغير ،أما ضعف الفهم والعشوائية كثيرا ما تقود إلى الفـشل ؛ لأن الوقائع في ظاهرها هي أحداث من صنع الإنسان ، والتاريخ في سياقه العـام تدوين لأحداث ووقائع وتجارب إنسانية وعلى الإنسان أن يستوعبها ويستخلصها،

---

[27] برهان غليون ، نفس المرجع السابق ص ص 313 ، 315 ، 319 ، 321 ، 323

فالقصور الفكري لا يمكن أن يطور مجتمعاً يعـيش بذهنيـة العبيـد الخاضـعين للمحتل، والشعور بالخطر لا يكفي لإبعاد الخطر [28] .

[28] . عصمت سيف الدولة . نظرية الثورة . ص 15-19-26-27-44-45-46-64-65-72-87

المصادر والمراجع

أولاً :- المصادر

1- القرآن الكريم

2- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد – كتاب العبر وديوان المبـدأ والخبـر 7 أجـزاء مؤسسة جمال للطباعة ، بيروت 1979 .

3- ابن خلدون ، عبد الرحمن ، مقدمة بن خلدون ، الطبعة الرابعة دار الكتـاب العربـي بيروت (ب . ت)

ثانياً :- المراجع .

1- ابوخلدون ، ساطع الحصري ، الأعمال القومية ، مركز دراسات الوحدة العربية بيـروت 1984 م .

2- أبوصوة ، محمود أحمد ، دراسات في تاريخ ليبيا الوسيط ، دار الهدى للطباعة 2004 ف

3- أنطونيوس ، جورج ، وآخرون ، يقظة العرب ، ط السادسة ، دار العلم للملايين بيروت 1980 ف

4- أشفيتس ، البرت ، فلسفة الحضارات ، ت عبدالرحمن بدوي ، ط الثانية ، دار الأنـدلس بيروت 1980 ف .

5- البيطار ، نديم ، من التجزئة إلى الوحدة ، ط الثانية مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 1980 ف .

6- بكر ، هيرتش ، تراث الاوائل من الشرق والغرب من كتـاب التـراث اليونـاني فـي الحضارة الاسلامية ، ت عبدالرحمن بدوي دار النهضة العربية القاهرة 1965 ف .

7- بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية – ط الثانية ، ت نبيـه ، فـارس ومنيـر بعلبكي ، دار العلم بيروت 1979 ف .

8- بيكر ، أرنست ، الحروب الصليبية ، ت السيد الباز العريني ، مكتبة النهـضة العربيـة بيروت 1976 ف .

9- توملس ، أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام / ت – حسن إبراهيم وعبـد الحميـد عابـدين ، القاهرة 1997 ف .

10- توش ، جون ، المنهج في دراسة التاريخ ، ت ميلاد المقرحـي قـاريونس ، بنغـازي 1994

11- الجابري ، محمد عابد ، إشكاليات الفكر العربي المعاصر ، ط الثانية مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 1990 ف

12- الجابري ، محمد عابد ، العصبية والدولة ، ط السادسة ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 1996 ف .

13- الجابري ، محمد عابد ، العقل السياسي العربي ، ط الثانية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1992 ف .

14- الجابري ، محمد عابد ، نحن والتراث ، ط السادسة ، المركز الثقافي العربي بيروت 1993 ف .

15- الجابري ، محمد عابد ، العقل الأخلاقي العربي – ط الثانية المركز الثقافي العربي بيروت 2001 ف .

16- الجابري ، محمد عابد ، تكوين العقل العربي – ط الرابعة مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 1989 .

17- جب ، هملتون ، دراسات في حضارة الإسلام ، ت حسان عباس وآخرون ، ط الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت 1961 ف .

18- جب ، هملتون ، هارولد بورين ، المجتمع الإسلامي والغرب ت أحمد عبدالرحيم مصطفى ، الهيئة المصرية القاهرة 1989 ف .

19- الجمل ، شوقي ، المغرب العربي الكبير ، ط الثانية ، المكتب المصري ، القاهرة 1997 ف .

20- الجمل ، شوقي ، علم التاريخ ، المكتب المصري ، القاهرة 2000 ف .

21- الجميلي ، رشيد ، الحضارة العربية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية ، قاريونس ، بنغازي (ب ، ت)

22- الحاج ، ساسي سالم ، نقد الخطاب الاستشراقي ، ج الاول – المدار بيروت 2001 ف

23- حنفي ، حسن ، الفكر العربي المعاصر ، ج الأول – ط الثانية ، التنوير ، بيروت 1982 ف .

24- حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي الاجتماعي ج/الأول ط – السابعة – مكتبة النهضة المصرية سنة 1964 ص ص 52 . 53 . 57 .

25- الحويري ، محمود ، منهج البحث في التاريخ ، المكتب العربي القاهرة 2001 ف

26- الدوري ، عبدالعزيز ، التكوين التاريخي للأمة العربية ، ط الثانية مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1982 ف .

27- الركابي ، فؤاد ، القومية ، دار الكتاب العربي ، مصر – 1963 ف

28- رياض ، زاهر ، استعمار أفريقيا ، القومية ، القاهرة 1965 ف
29- رولف ، غيرهارد ، رحلة إلى الكفرة ، ت – عماد الدين غانم مركز جهاد الليبيين ، طرابلس 2000 ف .
30- الريماوي ، عبد الله محمد ، القومية ، ط – الثانية ، طرابلس 1974 ف .
31- الريماوي ، عبد الله محمد ، الإقليمية الجديدة ، ط – الثانية ، مكتبة الفكر – طرابلس 1974ف
32- زريق ، قسطنطين ، مطالب دار المستقبل ، دار العلم للملايين بيروت 1983 ف .
33- زريق ، قسطنطين ، نحن والمستقبل ، ط الثانية ، دار العلم للملايين بيروت 1980 ف
34- زريق ، قسطنطين ، نحن والتاريخ ، ط – الرابعة ، دار العلم بيروت 1979 ف .
35- زريق ، قسطنطين ، في معترك الحضارة ، ط – الثالثة ، دار العلم للملايين بيروت 1977 ف
36- زين ، نور الدين زين ، القومية العربية ، ط – الرابعة ، النهار ، بيروت 1986 ف .
37- سالم ، سيد عبد العزيز ، التاريخ والمؤرخون العرب ، دار النهضة العربية بيروت 1986 ف .
38- سعدي ، عثمان ، البربر الأمازيغ ، دار الملتقى ، بيروت 1998 ف .
39- سليمان ، توفيق ، أسطورة النظرية السامية / ج الأول دار دمشق 1982 ف .
40- سيف الدولة ، عصمت ، نظرية الثورة العربية ، دار الفكر القاهرة 1971 ف .
41- سعيد ، علي أحمد ، الثابت والمتحول في الإتباع والإبداع عند العرب ثلاثة أجزاء ، ط – الرابعة دار العودة ، بيروت 1983 ف .
42- شرابي ، هشام ، مقدمات دراسة المجتمع العربي ، ط – الثانية الأهلية ، بيروت 1980
43- الشكعة ، مصطفى ، معالم الحضارة الإسلامية ، دار العلم للملايين، بيروت 1973 ف
44- الشيخ ، عبد الرحمن عبدالله ، المدخل إلى علم التاريخ ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة 1994 ف .
45- شبيكة ، مكي ، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى ، دار الثقافة ، بيروت 1970 ف .
46- صبحي ، أحمد محمود ، في فلسفة التاريخ ، الجامعة الليبية (ب . ت) .
47- عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، بحوث في التاريخ ، الإسلامي وحضارته ، عالم الكتب 1988 ف .
48- عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى النهضة العربية ، بيروت 1976 ف .

49- عبده ، سمير ، صناعة تزييف التاريخ ، الكتاب العربي ، دمشق 1989 ف .
50- عبد العزيز عمر ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت 1975 ف .
51- عبد الكريم ، أحمد عزت ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت 1975 ف .
52- عبد الكريم ، احمد عزت ، دراسات في التاريخ العربي الحديث ، النهضة العربية ، بيروت 1973 ف .
53- علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج الأول ، دار العلم للملايين ، بيروت 1976ف .
54- العروي ، عبد الله ، العرب في الفكر التاريخي ، ط – الثانية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت 1992 ف .
55- العروي ، عبدالله ، مفهوم التاريخ ، ج الثاني ، ط – الثانية المركز الثقافي العربي ، بيروت 1992 ف .
56- العروي ، عبد الله ، مفهوم العقل ، المركز الثقافي العربي ، بيروت 1996ف .
57- علوش ، ناجي ، الوحدة العربية ، المشكلات والعوائق ، المجلس القومي الرباط 1991ف
58- غليون ، برهان ، اغتيال العقل ، ط – الثانية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة (1990) .
59- غنيم ، عادل حسن ، حجر ، جمال محمود ، في منهج البحث التاريخي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1984 .
60- قدورة ، زاهية ، تاريخ العرب الحديث ، النهضة ، بيروت 1974 ف .
61- قرقوط ، دوفان ، تكوين الأمة العربية ، المجلس القومي للثقافة بيروت 1992 ف
62- كراوزة ، غونلوبي أدولف ، الدواخل الليبية ، ت عماد الدين غانم ، مركز جهاد الليبين طرابلس 1998 ف .
63- الأرناؤوط ، محمد ، مراجعة الاستشراق ، المدار ، بيروت 2002 ف .
64- فول ، يوهان ، تاريخ حركة الاستشراق ، ط – الثانية ، عمر الفقي العالم ، المدار ، بيروت 2000 ف .
65- مطر ، جميل ، هلال علي الدين ، النظام الإقليمي العربي ط – الثانية ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت 2000 ف .
66- مطر ، جميل ، هلال علي الدين ، النظام الإقليمي العربي ، ط- الثانية ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت 1980 ف .

67- مروة ، حسين ، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، (جزءان) ط – السادسة ، الفرابي ، بيروت 1998 .
68- مصطفى ، شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ط – الثانية (جزءان) ، دار العلم بيروت 1979 ف .
69- مقار ، شفيق ، قراءة سياسية للتوراة ، رباط الرئيس لندن (ب . ت) .
70- موسى ، سليمان ، الحركة العربية ، النهار ، بيروت 1977 ف .
71- موري ، اتيلو ، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا منذ القرن التاسع عشر في الاحتلال الإيطالي ، ط – الثانية (ت ، خليفة التليسي – المنشاة العامة للنشر ، طرابلس 1984 ف) .
72- ميكي ، غوتيه إميل ، ماضي شمال أفريقيا ، ت هاشم الحسيني ، دار الفرجاني طرابلس 1970 .
73- النبهوم ، الصادق ، إسلام ضد الإسلام ، ط الثانية ، نجيب الرئيس دمشق 1995 ف .
74- الهاشمي ، بشير ، حرب الكتب ، المنشاة العامة بالجماهيرية ، طرابلس 1984 ف .
75- هونكه ، زيغرن ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ط الثالثة ، المكتب التجاري بيروت 1979 ف .
76- هيغل ، محاضرات في فلسفة التاريخ ، ج الأول ، ت أمام عبد الفتاح أمام ، دار الثقافة ، القاهرة 1980 ف .
77- الوافي ، عبد الكريم ، منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب ، قاريونس ، بنغازي 1990 .
78- يحي ، جلال ، الاستعمار والاستغلال والتخلف ، القومية مصر 1965ف .
79- يحي ، جلال ، طه جاد ، تاريخ العرب الحديث ، الاسكندرية ، 1973ف .

ثالثاً :- البحوث والمقالات

1- أمبيرش ، المهدي ، التاريخ الإفرنجي وأزمة الهوية (التاريخ الإسلامي وأزمة الهوية ، جمعية الدعوة الإسلامية 2000)
2- البيطار ، نديم ، دور الدولة القطرية في ترسيخ التاريخ القطري ، مجلة الوحدة ، العدد الثاني والاربعين ، السنة الرابعة 1988 ف .
3- الجراري ، محمد طاهر ، منابع الفكر العربي ، مجلة البحوث التاريخية العدد الثاني ، السنة السادسة 1984 ف .

4- الجراري ، محمد طاهر ، لماذا كتابة التاريخ ، مجلة البحوث التاريخية العدد الأول 1979 ف

5- الجابري ، محمد عابد ، يقظة الوعي العربي في المغرب مساهمة في نقد السيلوجيا الاستعمارية تطور الوعي القومي في المغرب العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 1986 ف

6- الجنحاني ، الحبيب ، إشكالية تحديد السمات المنهجية لمدرسة تاريخية عربية ، مجلة الوحدة ، العدد الثاني والأربعين ، السنة الرابعة 1988 ف .

7- حسين ، خليفة محمد ، " الوحدة الثقافية للمنطقة العربية في التاريخ القديم " مجلة الوحدة ، العدد الثاني والأربعين ، السنة الرابعة 1988 ف .

8- حسن ، محمد ، الأصول التاريخية للتقريب في المغرب العربي تطور الوعي القومي في في المغرب العربي ، مركز الدراسات الوحدة العربية 1986 ف بيروت .

9- الربيعو ، تركي علي ، بعض الملاحظات المنهجية حول إعادة كتابة التاريخ العربي " مجلة الوحدة العدد الثاني والاربعين السنة الرابعة 1988 .

10- الفيلالي ، مصطفى ، ظاهرة التمازج بين العرب والدين تطور الوعي القومي في المغرب العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 1986 ف

11- فورانوف ، ستيفان (العنصرية مبدأ أساسي في الصهيونية ، المؤسسة العربية لدراسات النشر 1979 .

12- لامين ، محمود حسين ، الكنعانيون الغربيون (الموسم الثقافي) مركز جهاد الليبيين ، طرابلس 1980 ف .

13- توبيرغر ، جي ، الصهيونية والعنصرية (الصهيونية حركة عنصرية) المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1979 ف

14- مزين ، محمد ، منهج كتابة التاريخ القومي ، إشكالية التاريخ في المغرب العربي ، مجلة الوحدة ، العدد الثاني والأربعين السنة الرابعة 1988 ف .

15- الهرماسي ، محمد عبد الباقي ، المغرب العربي المعاصر ، تطور الوعي القومي في المغرب العربي مركز دراسات الوحدة العربية 1986 بيروت .

16- والزهمغري ، الصهيونية والعنصرية (الصهيونية حركة عنصرية) المؤسسة العربية ، للدراسات والنشر 1979 ف .

رابعاً :- معاجم اللغة العربية .

1- ابن منظور ، لسان العرب ، ط الأولى ، القاهرة ، 1300 هجري .